خطبة

نادي الشرق

قيمتها :

غرشان صاغ

ينفق ريعها في سبيل تعزيز مبدئها

في مطبعة سرسم في الموصل

١٣٣١ هـ

خطبة

نادي الشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لولي الحمد وصلاةً وسلاماً عَلَى النبي العربي سيدنا ومولانا محمد وعَلَى آله الاكارم وصحبه الاعاظم اساتذة الامم وابطال التاريخ . وبعد : فاني مذكر لست بمسيطر والرجل رهن ارادته والارادة تبعٌ للفكرة . وهذه سحائب حقيقة في سماء خيال لئن ابتسمت اليوم ببرق خلب فارجو ان تسح غداً بوابل هطال والماضي مرآة القابل والغد ابن امسه وان غداً لناظره لقريب .

اثارت هذه السحائب عواصف الحرب العثمانية البلقانية فكانت بوارقها خطبة « نادى الشرق » يتخلل وميض سناها من صرير اليراع دويُّ المدافع ، وصلصلة الحديد ، ولهب النيران :

هذه البوارق تذكرة هاتيك الرعود عسى ان يستيقظ راقد وينهض قاعد والله من وراء القصد عليه الاتكال وبيده مقاليد الامور .

الموصل : السيد محمد حبيب العبيدي

مفتي الموصل

١٩٤٣

لقد كثر القول

فاين العمل ؟

تخالج ضميري عواطف دينية وتستفزني نزعات جنسية يحركان مني ساكنا ويثيران كامنا حتى اذا اخذني تيار الافكار وتقاذفني موج الاماني فاذا انا في ساحل الوهم اقترح عَلَى الايام بين صحو وسكر فربما طمعت في المحال واتيت الحقيقة من باب الخيال

انا عربي ، انا محمدي ، انا عثماني ، وقد تنكر الدهر لهذه الصفات الثلاث كلهن وقلب لهن ظهر المجن فشوه لهن جباها ناصعة ولون منهن الصفحات حتى برزن بغير صبغتهن تنكرهن معارفهن ولا يكاد يتوسم الرائي فيهن خيراً .

يتألم ضميري لحياة يسهل عندها الموت فهو مرارة مرَّة وهي لا تزال وهي مُرَّة وما خير حياة هي شر من الموت ؟ وماذا يرجّي اهلوها وهي شق ضمائر وفقع مرائر وعبأٌ ثقيل هم تحته يرزحون؟ واي شيءٍ بعد هذا كله ينتظرون ؟

هنا يتألم ضميري اكثر فيشتد مني الحنق ويضيق بي الخناق : سبحانك

فاطر السموات والارض ! ما بال عروق جامدة ، لا تتحرك؟ وقلوب خافقة لا تضرب؟ ورؤوس كبيرة ، في ادمغة فارغة ؟ واجسام ضخمة ، لا تشغل حيزاً ؟ أهكذا خلقتها اعضاء غير عاملة وما هي في هذا الوجود الاغوغاء ؟ ام هي التي ظلمت نفسها فكانت من الغاوين ؟ تعالى الله عما يصفون . ان الله لا يظلم الناس ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ثم هنا يقذفني موج الفكرة الى ساحل السكرة فتنقلب آمالي حرصاً وتخيل لي الاماني وقوع المحال ، وتتمثل لي الحقيقة في ثوب الخيال :

فكأن الايام قد لبت دعوتي ونشطت لاقتراحي فاذا انا في فضاء فضي الوسط ، ذهبي الاطراف ، ياقوتي الحاشية ، يهرع اليه الناس من مشارق الارض ومغاربها : فمن فارسي وفاسي ، وجزائري وتونسي ، ومصري وطرابلسي ، وهندي وصيني ، وتاتاري وافغاني ، وحجازي ويمني ، ونجدي وقازاني ، وعراقي وسوزي الى غير ذلك من كل عربي نطق بالضاد ومحمدي اهتدى بكلمة التوحيد ، وعثماني استضاء بنور الهلال وقد قام في الجمع خطيب منهم لا ليصدع بالقول بل ليطالب بالعمل فصعد منبراً له في منتصف القوم والموقف غاص باهله اشبه شيء بيوم الحشر والحساب . وعن يمين المنبر رجل يكتب ما يقول وانا عن شمال الرجل طائر اللب ، منشرح الصدر منتعش الروح ، متحفز الدماغ افكر في ذات

المسئلة من نفسي :

رحماك ربي رحماك ! هذا ما كنت اتمنى على الليالي السود ان تلد مثل هذه الايام البيض . وان هذا المجتمع ما ورائه وراء واحرى به ان يكون له ما بعد : فهل نشيم له انوارا ، ونشم ازهارا ، ونجنى منه ثمارا ؟ ام يكون صوتا جهوريا يتموج به الهواء حتى اذا صافح الاسماع واستئذن على القلوب ليستفز الادمغة و يهز العروق = لطمه موج الرياح وغلب عليه تيارها فذهب ادراج تلك الامواج وما شفى عليلا ولا نقع غليلا . . ؟ اللهم كن لنا عوناً على الحياة فقد اصبحت عبأً على الكاهل ثقيلا لا يمكننا القائه ولا نطيق له حملا

بينما انا في موقف الخائف الراجي في سكرة واستغراق من لقاح اليوم بغدٍ صالحٍ اذ احسست بهزة الانتباه لصوت الخطيب يهدر من فوق منبره العالي فاعرته سمع منصت كله اذن تسمع ، وعين تدمع ، وقلب يتصدع فاذا هو ينادي بصوت رخيم من قلب صميم ويقول — بعد الحمد لله والصلاة على الرسول — :

عباد الله المكرمين ! سلام عليكم اجمعين سلام مغتبط بكم ، متألم لكم آسف عليكم ، شاكٍ منكم واليكم فهل انتم مستمعون ؟ سلام رجل خبير ناقد بصير دربته الايام وحنكته التجارب حتى سبر الغور فلا يزيده

كشف الغطاء يقينا ، فهل انتم مؤمنون ؟ ثقوا بالله وعلى ذمة رسول الله اني لكم ناصح امين .

ما شاء الله ما اكثر المسلمين اتباع محمد واشياع القرآن !ماشاء الله ما اوفر العرب حماة الضاد واباة الضيم امراء المنطق الجزل وفصل الخطاب الله اكبر ! ما اسعد القوم لو كان لهذا العدد الوفر عدد مثله فالتفوا حول عرش واحد وخفقت على رؤسهم راية واحدة واعتصموا من الله بحبل متين

يا قوم ! يسرني والله ان اقلب الطرف منكم في عدد لوشاء لتحلي بمثله عدداً وتجلي بمنظر جسم واحد على قلب رجل واحد فحرر رقاباً لوتها سلاسل الاسر وحفظ كياناً اصبح على وشك العدم ، فغنم حياة هنيئة ومستقبلاً لامعا . ولكن هل يشاء ؟ ومتى يشاء ؟ ولماذا لا يشاء ؟

يا قوم هداكم الله سواء السبيل ! ناشدتكم الله وشرف الانسانية الا ما قمتم مثنى وفرادى ثم فكرتم في انفسكم ومركزها من بين الامم ونصيبها من الحياة في هذا المعترك ثم قستم حاضراً بغابر ونظرتم الى القابل من مرآة اجتلائه فتغلي مراجل قلوبكم اسفاً وحزناً حتي يتبخر ماء حياتها الناضب فتقذفه المآقي على شكل الدموع السواكب وما هي الا جمر من نار .

يا قوم وقاكم الله مصارع الجهل ! لقد كشف الستار ووضح اليقين وليس الخطب باعمى من حندس الظلماء وهذه طوارق الليالي تضيء

كالنجوم فهل انتم مهتدون؟ لقد اقرأتكم الليالي دروس عبرها ورفعت اليكم صوت انذارها فشعرتم بالخطر الذي احدق بكم والشؤم الذي خندق عليكم والحلقات التي استحكمت فيكم والموبقات التى اتاكم موجها من خلفكم ومن بين ايديكم فما هذه الاستكانة . . وما هذا الرضوخ ؟ اشبه شيء بمريض على فراش الموت يعاني سكراته وينتظر حلول اجله وما هو عنه ببعيد .

يا قوم عافاكم الله من داء اليأس وانه لا قتل الادواء فما لكم قد ركنتم اليه . . وملكتموه القلوب . . وحكمتموه في الرقاب ! فاماتكم قبل الموت وسلبكم ثوب حياة لو شئتم لظلتم به متلبسين . ما هذا اليأس وعلى رؤس الاقلام امل لامع ! ام في الآذان وقر . . وعلى الابصار غشاوة . . وقد عميت القلوب التي في الصدور ؟ اوّاه ثم اوّاه ولا تيأسوا من روح الله والمرء حيث يضع نفسهُ فضعوها حيث الحياة هنيئة والعيش رغد تكونوا كذلك احياء منعمين .

يا قوم بصركم الله بالعواقب ! ما هذا الجمود ؟ لقد كثر القول فاين العمل ؟ ما زالت الاقلام تتلاعب على صفحات الطروس في ميدان الصحافة فادباء ينثرون وشعراء ينظمون وخطباء يتفننون وانتم لا تسمعون . رحماك ربي رحماك ! الم يأن للصم ان تسمع . . وللبكم ان تنطق . . وللعمي ان تبصر . . ثم للقلوب ان تعقل ؟ فقد جاوز الحزام الطبيين ووضح الصبح لذى عينين

وتجلت الحقائق بكل مجاليها فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً وهم في غفلة معرضون؟

يا قوم وقاكم الله شر الاهواء! حتى متى، والى متى؟ حتى متى يبلغكم الصوت يردده كل جبل وواد فلا يلبثان يذهب ادراج الرياح وانتم عنه تتصاممون؟ كيف بكم لو كانت اشعار الحماسة انا شيد غرام؟ اذن لغازلتم غزلانها وعبدتم حسانها وملتم ميل الاغصان طرباً الى القدود وغردتم تغريد البلابل شوقاً الى ورود الخدود: نزعات بهيمية ونزغات شيطانية ليست والله من الفضيلة في شي بل هي عدوّها الاكبر ولقد خلق الانسان فوقها بمراتب عند قوم يتفكرون. الى متى تسمعون عويل النساء وتضور الاطفال وصيحة المظلوم وصراخ المستغيث كأنها ضجيج الابل عند المنحر وتجمعكم واياهم جوامع دينية جوامع وطنية، جوامع عنصرية وانتم لهاتيك الاصوات الهائلة لا تتألمون والى ذلك النداء الموجع لا تهرعون؟ كيف بكم لو كانت اصوات مغنيات ونغمات اوتار؟ اذن لتحركت عروقكم الجامده، واهتزت اعصابكم المتخدرة تجيبون الدعوة وتلبون الصيحة من كل فج عميق: هوسات نفسية واحساسات هوائية ليست والله محل النظر للانسان من مظاهر الحياة عند قوم يعقلون لقد سمعتم فلم يؤثر عليكم كل صوت مرارا افلا تصغون الى ضمائركم مرة يرحمكم الله لعلكم تسمعون فتتأثرون؟ اني واثق انكم تسمعون من اعماق

الضمير صوتاً شجياً يستغيث اليكم بمثل انين العليل وعويل الثكلى فيا ويحكم من عذاب ضمير تكابدونه وانتم لا تشعرون بلى: قد لفحتكم النار واحسستم بالعذاب وتودون لو تفلتون ولكنكم قوم تجهلون

الشرق الادنى

يا قوم! واريد منكم ابناء الشرق الادنى لقد عققتم هذا الشيخ الكبير وجنيتم عليه وعلى انفسكم كل جناية فمتى ترشدون وعن غيكم ترجعون؟ اعانك الله يا شرق لقد دنا اجلك وحان حينك وابنائك عنك لاهون. ما هذا التغافل.. والى متى هذا التواني؟ طالما تهددكم الغرب بالسم الزعاف تحت اسم «المسئلة الشرقية» وما زالت جراثيمه تتسرب الى وجودكم شيئاً فشيئاً حتى استحكمت العلة وقهر المرض الطبيعة وعرف الغرب انكم لا شك ميتون = فقد نهض اليوم نهضته، وشحذ اسنته، وصقل بواتره، واعد مدافعه، وفغرفاه، ووضع المسئلة على بساط البحث ليمزقكم كل ممزق فاذا انتم اكلة كل طاعم وفريسة كل مصطاد ويحكم ثم ويحكم! ما هذه الاستماتة ازاء حياة امر من الموت؟ وما هذه الحياة ازاء موت احلى منها؟ لقد دب اليكم الداء دبيب الاجل من صاحبه فماذا بعد تنتظرون؟ أأكفاناً ترقع.. وقبوراً تحفر.. وتراباً يهال؟ ان كان هذا الذي تريدون فصبراً غير كثير

ان القوم عَلى هذا عاملون و به مشتغلون وانتم عما قليل له ملاقون · ان موعدكم الصبح ، أليس الصبح بقريب؟ ولكن اعيذكم بالله ان تكون بغيتكم مثل هذا ثم اعيذكم بالله ان تكونوا اجهل الجاهلين ·

كل الشرق

يا قوم ! واريد منكم ابناء الشرق كل الشرق يعلم من له ادنى مسكة ولا يجهل من ملك اذنا واعية : ان الحقائق متضايفة وان الامور بالاعتبار ، وان المظاهر مثاني ، وان حياة الضد بالضد · عَلى هذا دبت الايام و به قام النظام سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا · وان الشرق والغرب — منذ قبضت يد البشرية عَلى قسطاس الحضارة — كفتا ميزان يتجاذبان اطراف الوضع حطةً وارتفاعاً فرقت بينهما منازع شتى : مثل اختلاف الاقاليم وما ينزع اليه طبعاً من الاحساس الوطني وتضاربه ، مثل تباين الاخلاق والعادات الناشئ عن اختلاف المحيط اختلافاً شاسعاً ، مثل تخالف اللغات وسائط الفهم وترجمان الضمير مما به يقف الرجل عَلى سريرة الرجل فما تعارف ائتلف وما تناكر اختلف ، الى غير ذلك مما يظهر للتأمل و يشهد به العيان وقد جرَّ قانون تلك التفرقة بعوامل هاتيك المنازع ابتداءً الى انقسام البسيطة بين شرقي وغربي ثم اخذت الغرائز تلعب ادوارها عَلى مسرح الحياة حتى نزغ

الشيطان بين ذينك الاخوين فاصبحا حليفي مبارزة احدهما الاخر في هذا المعترك الحيوي يسقيانه الصديد و يصبغانه بالدماء

فالغربي اليوم يثأر من الشرقي والشرقي من الغربي رضى المنكر او غضب بالرغم عن كثير من العواطف التى ربما ترجي لاصلاح ذات البين خصوصاً وان الغربي فارغ الصدر خالي الضمير من كل عاطفة غير ما يسميه بالمنفعة الشخصية او القومية او الوطنية ولا تجمعه هذه العواطف الا مع غربي مثله فهو عدو الشرقي الاكبر لا يهمه الا ان يسعد بشقائه يتخذ دمه خمرةً للشاربين ولحمه نقلا للمتفكهين · ورجعة الى التاريخ بتدبر وامعان تكفي لاثبات ذلك بحجة قاطعة و برهان ناصع ·

فاعيذكم بالله يا قوم ان تأخذكم سنة الغفلة عن عدو من ورائكم حاقد القلب ، دلق اللسان ، شاكي السلاح وانما يغرد تغريد الصياد وراء الاشباك حتى اذا امكنت الفرصة فما هي الا فرقعة بارودة اصابت الهدف فاضحكت قوماً وابكت آخرين

الغربي لا يصل الشرقي لسواد عينه او حمرة خده · انما يريده منيحةً يستدرها بهائم مسخرة تعيش كما يريد هو لا كما هي تريد فمتى خف لبنها وشال ضرعها استمتع منها بلحم يغلي في القدر وكبد تشوى عَلى جمر من نار

الغربي في الشرق اشبه شئٍ بعابر سبيل دخل روضة يتطلبها منذ حين

فاخذ يقطف كل زهرة غضة ويجني كل ثمر شهي لا يبالي بفسائل يدوسها بالاقدام وفروع يخضدها بالايدي حتى اذا قضى من الروضة وطره التفت الى صاحبها — وهو في ناحية منه في موقف الذل والهوان ينظر اليه بطرف خفي نظرة الصبي العاجز او الشيخ الفاني لا يملك من الامر شيئاً — التفت اليه فصعد نظره فيه مرة وصوبه في سلاح نفسه اخرى متكئاً على سيفه البتار — شأن الغشوم الجبار يتهدد المساكين البائسين — حتى اذا استفز قلبه خفقانا ولبه طيرانا وملئه كما يريد دهشة ورعبا مشى اليه مشية البطل الغاشم ودنا منه دنوا الاجل الحائم ثم قال له :

« تعساً لك تعساً ، تعساً ونكسا ! أهكذا يستثمر المرء مثل هذه الروضة الغناء ؟ لقد اسئت الصنع وما احسنت العمل فافسدت مواهب الطبيعة ما هذه الجراثيم في هذا الماء العذب الزلال ؟ ما هذه الوخامة في هذا الهواء النسيم ؟ اين قوة الانبات لهذا الصعيد الطيب ؟ لقد كان في الامكان ان تستثمر من جنتك هذه ما يمثل لك الترب تبراً ويخيل لك ان طيب الحياة ورغد العيش في هذا المنبت الطيب ليس الا ، ولكنكم ايها الشرقيون قوم تجهلون . اعرني سمعك يا جاهل ! يجب عليك بعد هذا عمل كذا وكذا الى آخر ما اتلو عليك في الورقة التي ادفعها اليك لتستفيد من تلك المواهب بقدرها وتحصل على فائدة تكشف لك طريق الاستثمار على الوجه الاتم

وتعرفك رغد العيش وطيب الحياة . وان موعدنا موسم قطف الازهار واجتناء الاثمار فادأب الى عملك كما علمتك ولا تكن من الجاهلين

فلما حان الوقت واخذت الجنة زخرفها وازينت تسر الناظر وتبهج الخاطر وطفقت بلابل الامل من صاحبها تغرد على افنانها الزبرجدية واثمارها اليانعة — فاذا بالغربي وقد نزل نزول القدر وهب هبوب الريح فيها اعصار فجعلها حصيداً كأن لم تغن بالامس ، اما ذلك البائس التعيس الحظ فاعطاه بقدر ما سقاها من عرق جبينه في مزاولة العمل هماً ونصباً ثم اخذ يعزره على بعض خطيئات في العمل مما لم يكن قد اشار اليه . فاكمل له الوصية وضرب له الموعد تارة اخرى وافترقا على ما يلتقيان على مثله الى ما شاء الله ان يكون وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

اجل يا شرقي ! هذا مثلك ومثل اخيك الغربي اذا دخل بلادك وامتلك زمامك ووضع على رقبتك نير ظلمه واستبداده بعامل الهوى والجشع الملعون : شأن الافضل يسترق المفضول والقاهر المسلط يعبث بالاذلاء البائسين

« والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم »

لعمري وعمرك يا شرقي ! لئن لم تستبصر في امرك وتفكر في عقباك ، وتاخذ لغدك من يومك فترخص غالياً لتربح وتتعرف للحديد بمثله لتفلح وتصون شرفك

الاكبر بقطرات من النجيع الاحمر . فابشر بيومك الموعود يوم لا يبكى ميت ولا يفرح بمولود ورحم الله القائل:

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبه الدم »

ثم ثقوا بعد هذا كله ايها القوم : — بعظمة الانسانية وشرف التاريخ — ان غربياً لا يحن على شرقي وان الشرقي لا يرحمه الا شرقي مثله فاستبصروا لانفسكم قبل ان ترفع الاقلام وتجف الصحف وقد كتب على نواصيكم الشقاء ونادى منادي الحقيقة قضى الامر الذي فيه تختلفون

المسلمون

يا قوم ! واريد منكم المسلمين حياكم وبياكم وارشدكم الى مصالح دينكم ودنياكم عندكم والله تسكب العبرات وعليكم تشق الجيوب بل القلوب واليكم ينتهى الحديث وهو ذو شجون : ماذا عسى ان اقول ؟ وعندكم اصدق الحديث ولديكم فصل الخطاب : بين ايديكم كتاب الله وفي ظهرانيكم حديث رسول الله وقد اوضحا لكم كل سبيل وكشفا كل حجاب وضمنا لكم قرة العين وسعادة الدارين وانتم في غمرة ساهون . فباي حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟

يا قوم كشف الله الغطاء واحسن المصير ! ما اريد ان اصدع بالقول ولكن اطالب بالعمل فاذكركم بما امركم الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله

فقد فاز فوزاً عظيماً ، اذكركم والله يشهد اني لكم ناصح امين ، وذكر فان الذكرى تنفع المومنين

ياقوم عفا الله عنكم : اين انتم من قوله عز اسمه في كتابه القديم : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا — قولوا رحمكم الله تحت اي راية انتم مجتمعون ؟ وباي حبل انتم معتصمون ؟ وانتم انفسكم بهذا الخطاب مخاطبون اين انتم من قوله عزت كلمته : ولتكن منكم امة يدعون الى الخيرات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون — قولوا هداكم الله أمسارعون في الخيرات ام انتم عنها مثبطون ؟ وباي معروف انتم مؤتمرون ؟ ولا اقول آمرون ، ثم عن اي منكر انتم ناهون ؟ ان لم اقل منتهون . اين انتم من قوله جلت عظمته : قاتلوا ائمة الكفر ، قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اخرجوا من ديارهم الخ قولوا رعاكم الله اترون ظلماً فوق الذل وضيماً دون الهوان ؟ وما هذه الفرقة وما هذا الشتات والايدي عليكم مجتمعة والقوم على ذهاب بكم عاملون ؟ ثم اذكروا قوله تعالى وهو اصدق القائلين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين — اين انتم من قوله عظمت حكمته انما المؤمنون اخوة ، اشداء على الكفار رحماء بينهم ، لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم — قولوا اصلحكم الله اينكم يشارك الآخر في السراء والضراء ويتوجع له رحمة وحنانا ويأخذ بيده عند البلاء شأن الاخوة البررة

يتعاضدون على مظاهر الحياة متشاركين غير متشاكسين ؟ ام قد عبثت بكم الاهواء وباعدت بينكم المنازع فتفرقتم ايدي سبا ولبسكم الفشل ولبستموه فذهبت ريحكم واصبحتم من الخاسرين

يا قوم ! لقد علمتم ما قال ربكم جل شانه وعز سلطانه وهو قطرة من بحر وشذرة من نحر مما امركم به في كتابه العزيز ليقوم به اودكم ويصلح به منقلبكم ومثواكم ويهديكم صراطاً مستقيماً فهل لكم ان تصغوا الى نبيكم الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم لعلكم ترشدون ؟

هذا نبيكم الاعظم اكبر رجل في العالم يقول ما معناه : يد الله مع الجماعة — فهل انتم مجتمعون لتكون يد الله فوق ايديكم فتصبحوا من حزبه وان حزب الله هم الغالبون ؟ يقول : الاجتماع رحمة والفرقة عذاب — فهل احسستم بالعذاب الذي اتاكم من تلك الوجهة وانتم عنها غافلون ؟ يقول : المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا — فاي بنيان شدتم على دعائم التعاضد والتعاون والوفاق والاتحاد ؟ بلي هذا ركن عزكم قد تهدم وجدار مجدكم قد انقض وانتم بها لا تعبأون ! يقول : مثل المسلمين من بعضهم لبعض مثل الجسد من الرجل اذا اشتكى منه عضو تداعى بالالم سائره — فهل تجدون فيكم مثل هذه الرابطة ؟ ومتى ترتبطون بمثلها كأنما نيطت بعروقكم اسلاك كهربائية فبحركة واحدة تتحركون وبسكون واحد تسكنون ؟ ولكن

اواه . . ثم اواه ؟ انما انتم مختلفون وبحبل الشتات مرتبطون فهنا مآتم واعراس هناك لا يهم هذا ما جنت الليالي على ذاك فما لكم ثم ما لكم ايها المسلمون ؟ يقول : المؤمن لا يذل ، لا يحل للمؤمن ان يذل نفسه — فما لكم قد ضربت عليكم الذلة والمسكنة ايها المؤمنون وانتم محمديون لا موسويون ؟ يقول : طوبى لمن تواضع من غير منقصة واذل نفسه من غير مسكنة — فهل تجدون في انفسكم مثل هذه الشمائل الساميه مما يليق ان يكون لمحاسن الاخلاق وشرف الانسانية غرة وتحجيلا ؟ ام ترون فيكم منقصة وطئت انفسكم على الضعة ومسكنة البستكم اطمار الذل والهوان فاصبحتم لعبة للاعبين وطعمة للآكلين ؟ يقول : احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا . الكاسب حبيب الله . ان الله يبغض العبد البطال . وقد عد الابرة بيد المرأة تصلح من شأن بيتها مثل السيف بيد الرجل يجاهد في سبيل الله ، الى غير ذلك مما ينهض بالامة من اي هوة وقعت فيها ويرقي بها الى اعلى ذروة واسمى مقام فهل انتم لما ارشدكم نبيكم «ص» مهتدون وبه عاملون ؟ فقولوا اذن هداكم الله لماذا تدعون انفسكم انكم مسلمون . . ؟

يا قوم ! اعيذكم بالله ان تصروا على الحنث العظيم ان تقهقرنا عن استماع وامر الله واتباع سنة رسول الله هو الذي ساق الينا الخطوب وهال علينا الكوارث وجرعنا كل غصة وحرمنا كل نعيم واوقفنا في مأزق حرج لا

يصبر له انسان من حيث انه انسان . اجل : ذلك التقهقر الديني هو الذي جرّ بنا الى هذا التقهقر الادبي ، فالتقهقر الاجتماعي ، فالتقهقر السياسي حتى طمع فينا الابيض والاسود ولصقت بنا التهائم ولطخ الدين من جرّاء اعمالنا بما هو منه براء فوهي السلك وانفرط العقد واصبحنا اكرة تلعب بها صوالج الاهواء من امم آخرين .

كشف الله عن قلوبٍ عماها ! ان الدين الذي تلطخ به التهم من حيث تطلى بزخارف من شقاشق الاقوال يساعد على قبولها ضعف الارادة، ووهن العقيدة بعامل الجهل ، وغلبة التقليد = أليس هو ذلك الدين الذي كان منبثق الانوار ، والحد الفاصل بينها وبين هاتيك الظلم التي طبقت الآفاق في منتهى القرون الاولى ومبدأ القرون الوسطى ، يوم كان الانسان يأكل الانسان : لا يسمع الا ظلماً ، ولا يبصر الا ظلاما ؟

كشف الله عن قلوب عماها ! اىُّ دين كالدين الاسلامي : ادبيا اخلاقيا عمرانياً اجتماعيا ، اداريا سياسيا ؟ اىُّ دين جمع بين دفتيْ تعاليمه واحكامه مثل هذه الحكم الخالدة غير الدين الاسلامي ؟ كل القرآن اخلاق وتعاليم الا مائة وخمسين آيةً تختص بالاحكام . كل الاحاديث كذلك ، الا الفا وخمسمائة حديث . وماثمة الاعظة وارشاد , فلسفة وسداد عبر وغرر حكم ودرر: ممايكفل سعادة النوع الانساني حساً ومعنى معاشاً ومعاداً ، عملاً واعتقادا . ان الدين عند الله الاسلام، اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام دينا .

ان دين الاسلام دين جعل منابع شرعته اربعة اصول ، كتاب الله ، وسنة رسول الله ، واجماع الامة ، والقياس الصحيح حفظاً للامانة ، واحتراماً للرأي العام ، وتوقيراً للنظر والتفكير: فقال على لسان الملك الديان في كتابه العزيز : ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال : ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى . وقال :ولو ردوه الى الله والرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم. ثم عرف للعرف والعادة مقداراً ورعى لها البيئة والوسط والزمان والمكان , واطلق للامة عنان الاجتهاد الا ما كان عن هويً ممقوت وجعل درء المفاسد مقدماً على جلب المصالح سداً لنوافذ الفساد . ثم قال في كتاب الله المجيد : ما جعل الله عليكم في الدين من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . وفي الحديث النبوي : يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا ، بعثت بالحنيفة السمحاء

انه : دين اعطى الانسان نصيبه من اعمال الفكر وامعان النظر ، بل زال يحضه على ذلك حضاً ، اخذاً بمبدأ الاستقلال بالفكر والاشتراك العمل مما به تأخذ الانسانية قسطها من شرف الحياة الحقيقية . لهذا نراه امر بشيء او نهى عن شيء اهاب باهل الدعوة واستفز عقولهم الى ذلك كم نادى في العباد على رؤس الاشهاد بامثال قوله : أفلا يتفكرون ، افلا كرون , افلا يعقلون , افلا يتدبرون . افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب الها ؟ وهكذا عدّ الحقيقة بنت البحث ، والحق ابن البرهان . ثم ترك

الضمائر حرة الا ان تستسلم للعناد ظلماً وعتواً : فقد جعل الحكم في مثل ذلك
للسيف استسلاماً للضرورة ، وخوفاً من تسرب جراثيم الفساد

تخذ السيف للعناد علاجاً   ربّ داء له الحسام دواءُ (*)

ومع هذا فقد جعل ذمةً للمستظلين بلوائه من مخالفيه ، وسوى بينهم وبين
معتنقيه : لهم ما لنا وعليهم ما علينا — تكريماً للانسانية ، واحتراماً لحقوق
الطبيعية والاجتماعية . وحسبنا في هذا المقام ما روى عن صاحب الشريع
عليه السلام ، انه قال : من آذى ذمياً فقد آذاني . وهنا يجدر بنا ان
نذكر الخصم باعمال دول الغرب القاسية ، ونظاماتها الجائرة ازاء مستعمرا
الاسلامية ورعاياها المسلمين ، ثم نسومه قياس الخبيث بالطيب فنقدس
الدين الاسلامي الحنيف ونجعل لعنة الله عَلَى الظالمين

انه : دين قدر الحقايق قدرها : فجعل الحكمة ضالة المؤمن ، وفرض ال
عَلَى افراد الامة من ذكر وانثى ، وحض عَلَى طلبه ولو في اقصى البلاد
وجعل له حداً مبتداه المهد ومنتهاه اللحد : مما يستغرق العمر في كل ادوا
ويومي الى ان العلم نخبة الحياة والغاية التي تقف عندها الغايات . ثم قال
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيرا . وقال : هل يستوي الذين يعلم
والذين لا يعلمون

(*) من « الواح الحقائق » قصيدة للمؤلف تاريخية اجتماعية تقرب من خم
قافية ، القاها عقيب خطبة في المنتدى الادبي في الاستانة حيال اعلان الح
الطرابلسية ونشرت الواحاً منها جريدة « الشعب » في حلب

دين قصر العلة من البعثة علي اتمام مكارم الاخلاق (لقوله « ص » انما
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، وبه قد اثنى عليه رب العزة في كتابه العزيز
فقال : انك لعلى خلق عظيم) فقام مؤدباً ومهذباً يرمي الى قمع كل غريزة
سوء : فنهى عن التحاسد والتباغض ، والغيبة والنميمة ، والظلم والعدوان ، والبغي
والغرور ، والغش والخيانة ، والحقد والغل ، والكذب والبهتان ، والرياء
والشحناء ، والشقاق والنفاق ، والتحسس والتجسس ، والهمز واللمز ، والتنابز
بالالقاب ، والهتك للحرمات ، والاستسلام للهوى ، والاعتصام بغير الحق ،
الى غير ذلك . مما يطهر الوسط من كل نكتة سوداء ، ويضمن للنفوس تهذيبها
المجتمع البشرى تأديبه ، عَلَى وجه يحفظ للانسانية شرفها الاتم ، بل يلحق
الانسان بالملك فكأنما يعيش في الملكوت بينما هو في عالم الملك .. ولقد اوغل
الآداب عموماً وخصوصاً : حتى تكلم في حدودها بين الآباء والابناء
والاجداد والاحفاد ، والاقارب والاجانب ، والعدو والصديق ، والحليف
والمنابذ ، والجار وذوى جواره والزوجات وازواجهن والذكور والاناث : للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن . واوصى بكل ازاء الآخر
ما لو عمل به لاجتذب قلباً وما اوغر صدرا فعاش كلهم باحسن حال وانعم بال
دين مزج الاولى بالاخرى اتماماً للذرائع وليتسنى للانسانية الارتقاء الى
الكمال فجائت احكامه لوامع حكمة تنطبق عَلَى حياة هنيئة وموت مستريح
تكاد تجد رمية تعبدية من غير هدف ادبي : كما اقام بنائه عَلَى اركان منها
كفل للانسان حفظ صحته بالرياضة البدنية وكمال الطهارة والنظافة من كل

وضر بلحقه حساً او معنى. وكان خير واسطة لتعارف الافراد وائتلاف القلوب وتأليف الجماعات : كالصلاة. (واخوها الصوم) ومنها ما كل مذهب الاشتراكية بنظام مذهب بلطف الشعور، يبعث الحنان، يشد الازر، يعضد المجتمع يعين الفقير على الشقاء ولا ينقص الغني من غناه : كالزكاة. ومنها ما سن للتجول في الاقطار طريقة تجمع الامة على نقطة مركز واحد يأتونها من كل فج عميق فيتسنى للمسلم الغربي مثلاً ان يجتمع باخيه الشرقي والافريقي باخيه الآسيوي والعربي بالتركي والصيني بالكردي وتظهر الامة بمظهر كتلة واحدة ك ان شعارها التوحيد اذ لا تلبي هنالك الا آلهاً واحداً : حج بيت الله الحرام. ثم اهل الامة للسلم المسلح والحرب ذات الاصلاح دفاعاً عن الاوطان او تفاديا في احياء حق واماتة باطل لا خدمة للاهواء او تحفزاً لجشع ملعون فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدو ولم يقل تقاتلون. (وهذا هو الجهاد في سبيل الله وبمثله تعمر البلاد وتسعد العباد وتستأصل جراثيم الفساد فيرتاح ضمير الانسانية وتشرق شمس المدنية الحقيقية لا كالحروب التي تلعب ادوارها سياسة العصر قتلاً للانسانية وسحقا لنواميسها من وراء ستارها الخلاب) الى غير ذلك من الحكم التي نطق بها الكتاب وافصحت عنها السنة وقد عجز عن احصائها الباحثون ولم ينتبه بعد لمغزاها الجاهلون

دين شاد الملك على مبدأ ديموقراطي : فشحذ السنة الرعية تصدع بالحق وتنطق بالحقيقة لا تعجزها قوة ولا يسيطر عليها وهم. وهذا الخليفة الثاني «ض

— وهوهو — اذ قال في خطبة إمرته ازاء الامة : اذا رأيتم مني اعوجاجاً فقوّموه. فقام اليه اصغر القوم وقال له : اجل بظبي السيوف واسنة الرماح فهش لها عمر ودعا له بخير. وهذا الخليفة الثالث «ض» ذهب ضحية غضبة من بعض الشعب وقد تلطخ ثوبه المعصوم بدم مظلوم. وما كان خطاب النساء لابن حرب وهن ناقمات عليه باقل من طعن السمر ووخز القنا. بله الناقمين من الرجال وما كان يبدر منهم اذا ما استنت الفصال واحتكت العقرب بالافعى. وبمثل هذه الديموقراطية الدينية تمكن اولئك الاعاظم واضرابهم اساتذة الامم وابطال التاريخ من تشييد ذاك الملك الجسام ونشر لواء الدين المحمدي على اكثر من نصف المعمور

واما التشبث الشخصي في الدين الاسلامي فقد ضرب منه بالقدح المعلى وسجل سطوره بلون ثابت ووقع عليه في الصك توقيعاً. وحسبك في ذلك انه عد الكاسب حبيب الله. والبطال بغيضه والابرة بيد المرأة مثل السيف بكف المجاهد — كما مر آنفا — وقد نص على السعي في مناكب الارض وفضل النفقة على العيال من مال حلال على الصدقة على الارامل والاطفال وخص من الرجال بصفة الكمال من كان رجل الدارين فقال : انما الرجل رجلها — اى الدنيا والآخرة — وقال : ليس للانسان الا ما سعى (وكون هذه منسوخة بآية الطور محل بحث آخر) وبعد اضراب هذا كله فقد اجمل الحياة الاقتصادية خير اجمال ومثلها احسن تمثيل فقال : ولا تغلل «ض» يدك الى عنقك ولا تبسطها كل البسط. وابان الحكمة من هذا الحكم بقوله :

فتقعد ملوماً محسورا . ثم زاد العناية بذلك حتى نهى عن الاسراف في الطعام والشراب فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا ثم اكد النهى بقوله : ان الله لا يحب المسرفين . ثم شدد النكير باكثر من هذا اذ وصف التبذير بشر الاوصاف فقال : ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، ثم كشف سر التمثيل بقوله : وكان الشيطان للانسان عدواً مبينا

كل هذا ايها المسلمون بعض اجمال من تفاصيل وافرة لدقائق دينكم العالية وحكمه الباهرة ومغامزه الشريفة مما يجب افرادها بالتآليف الضخمة تبكيتاً للجاحدين وايقاظاً للراقدين

فناشدتك الله والضمير ايها المتخرص — ان كان لك ضمير ! — ان ديناً قامت اركانه على مثل مارأيت وانضم رواقه على اضراب ما وعيت هل من الروية والانصاف ان يحسب عثرةً في طريق رقيّ ذويه ؟ ام هو الحقيق بان يعد اوسع الاديان دائرةً لنجاح معتنقيه فيتخذوه سلماً يتسلقون به الى اوج السعادة ؟ وكذلك سعد به من قبلُ آباؤنا الاولون

ولكن لعن الله الجهل كم يجني على ذويه ! ولعن الله الهوى كم يعمي ويصم ثم لعن التقليد الاعمى كم يجعل الانسان اشبه منه بالحيوان ! فمتى نستيقظ من رقدة الجهل . وننفض غبار الاهواء.. وندع التقاليد العمياء جانبا — ثم ننتبه لما يدسه فينا الاعداء من كل افاك اثيم ؟

اما والله ان نفثات سحرية قد جنت علينا غير قليل فهل من رقية تقينا شرها وتؤمننا مكرها قبل ان يوقع صكنا ويسجل علينا بالوصاية — كل الوصاية

— لام آخرين ؟

من ذا الذى ينكر علينا مجدنا التالد وشرفنا الخالد وعزنا الغابر وملكنا القديم ؟ ليرجع المنكر الى التاريخ وليعره نظرة مفكر منصف ثم ليقل ما شاء ضميره لا ما شاء هواه . وهنالك تحق الكلمة على المبطلين

اجل ، غيرنا فقير الى الله : كان المسلم اخا المسلم يبذل له النصيحة ولا ياكل لحمه ميتا . والدين النصيحة وعلى شرط النصح لكل مسلم كانت بيعة جرير بن عبد الله البجلي اذ بايع رسول الله « ص » على الاسلام . كان المسلم سالماً من يد ولسان اخيه المسلم وربما آثره على نفسه ولو كان به خصاصة . كان المسلم ينصر اخاه مظلوماً ويكفه عن الظلم اذا رآه ظالما يعتقد ان ذلك نصرة له كذلك — كما ورد على لسان الشارع — كان المسلم يعقل ويتوكل وكان رجل فكر وعمل . يخلص النية ولا يلوث صدره في معترك الحياة براز كان المسلم اذا وعد لا يخلف واذا حدث لا يكذب واذا اؤتمن لا يخون لما اخبره نبيه انها شيمة نافق . كان المسلم مرآة اخيه وكان يجل نفسه عن العبث ومن حسن ايمان الرجل كه ما لا يعنيه . كان المسلم غيوراً على دينه غيوراً على امته غيوراً على وطنه ماضي زيمة قوي الشكيمة وكان لا تأخذه في الله لومة لائم : يقول الحق ولو على سه ويحكم بالعدل ولو كان ذا قربى وكان بعيداً عن البغضاء والشحناء والنفاق رياء بعد الارض عن السماء . على نحو هذا كان ادبهم الشارع : ذاك دب الاعظم « ص » فما زالوا في رغد من العيش ونعيم من البال تخفق على سهم رايات المجد والفخر مكتوباً عليها آيات الفتح والنصر حتى اذا ما فسدت

الاخلاق وتغيرت الوجهة واصبحت تلك الآداب من العمل عَلَى طرفيْ نقيض فقد غير الله النعمة وابدلها بالنقمة فسائت منا الحال وآلت بنا كما نرى شر مآل

فلو رجع المسلمون الى ما ادبهم به دينهم القويم وشريعتهم الغراء من فاضل الاخلاق الدينية الحيوية، الاجتماعية العمرانية — كما اشرنا الى جزء منه — لرجع اليهم مجدهم القديم وعزهم المنيع وشرفهم الباذخ مما زان صحائف التاريخ وخط عَلَى جبين الدهر سطراً من نور . وهذه حقيقة كشف رمزها الخليفة الاول « ض » منذ ثلاثة عشر قرناً اذ قال في خطبة له : والذى نفسى بيده لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها . واحرى بنا ان لا نكون عن فهم مثل هذا الرمز غافلين .

ولكن كيف يجب التطرق الى هذا الاصلاح العام بحيث يتناول طبقات الامة جمعاء وينتشر انتشار النور في جميع الانحاء ؟ هذا ما يجب عَلَى كل مسلم ان يفكر فيه ثم لا يألو جهداً في اتباع الحقيقة اذا ما سطعت لديه انوارها ما ارى بدأ لمن فكر في ذلك حق التفكر من ان تنتهي به الحقيقة الى نقطة مركزها فينادي بارفع صوت وافصح لسان : يا اشياع القرآن ! عليكم بتعميم لغة القرآن .

ان رجوع المسلمين الى ما ادبهم به دينهم القويم يستلزم الوقوف عَلَى تلك الآداب وهذا لا يمكن الا بالوقوف عَلَى لغة الدين : اذا ما تلوت القرآن — ايها المسلم ! — ولم تفهم معناه فكيف تهتدي بهداه ؟ اذا ما قرأت الحديث — ايها المسلم ! — ولم تفقه مغزاه فكيف يتسنى لك التأدب بآدابه ؟ ام

حسبت ان دينك مقصور عَلَى بعض امور تعبدية ليس غير ؟ كلا ! فقد مر بك ان معظم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية اخلاق وتعاليم . دع عنك كل هذا . اذكر موقفك بين يدي ربك اذ تعبده وتناجيه ثم قل : أيليق بالعبد ان يخاطب سيده وهو لا يدري ما يقول ؟ لا بد لك ان تقرأ في صلاتك ما تيسر من القرآن فهل يجدر بك ان تجهل لغة القرآن حينما تقرأه في صلاتك ؟ ام يسرك ان تكون بين يدي مولاك اشبه شيء بطير الببغاء ؟ ثم اذكر — ايها المسلم ! — قعودك امام منبر التبليغ اذ ليس لك من الخطبة نصيب غير سماعك الحان الخطيب . وانت تعرف انك لغير هذا اتيت المسجد الجامع وان الخطبة التى تقوم مقام ركعتين من صلاتك المفروضة لله عليك اجل من ان تكتفي منها بسماع الالحان .

ان الله يقول في كتابه القديم : انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون — والخطاب بهذا المؤمنون — فماذا عسى ان تعقل من القرآن اذا كنت جاهلاً بلغة القرآن؟ كم في كتاب الله من خطاب يشملك مع من شمل من المؤمنين أفلا يجب عليك ان تعي ذاك الخطاب ؟ ام تخال ان خطاب الله في امثال قوله : يا ايها الذين آمنوا . غير عام ؟ اما انه ليتناول كل من دان الله بدين الاسلام . ام تزعم ان الترجمة تجزيك ؟ فقل لي رعاك الله :هل يجزي الفرع عن الاصل . . ومتى كان التكحل في العينين كالكحل ؟ وهل تجزيك الترجمة في صلواتك ؟ ام تستصحب ترجماناً لك بين المنبر والمحراب في صلاة الجمعة وايام العيد ؟ هلمَّ للحساب من باب العقائد دون الاعمال : اذا كنت جاهلاً بلغة القرآن فأيةُ

معجزة يطمئن بها قلبك انك على هدى من ربك فتدمغ بها كيد المخالف وتمحق بها وساوس الشيطان ؟ ذلك : لان دينك يحض على النظر والاستدلال وان القرآن هو المعجزة العقلية الباقية على طول الزمان — ولهذا كان اكبر معجزات الرسول بل كافة الرسل عليهم السلام — وما كان اعجازه الا ببليغ جزالته وغرابة اسلوبه وبلاغته = قل فأتوا بسورة من مثله قل فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات = ولا ريب ان تقدير ذلك حق قدره لا يمكن ان يتسنى لمن كان جاهلاً بلغة القرآن

ام ترى كل هذه العقبات اهون عليك من اقتحام عقبة واحدة : هي تعلم لغة من اشرف اللغات واسماها واعذبها واحلاها تقربك من ربك ونبيك وتجمعك بالملايين من اخوان دينك وكذلك تكون لك اشد ساعد واكبر مساعد للحصول على سعادة الدارين ؟ لماذا همك ايها المسلم ! ان تتعلم احدي اللغات الاجنبية مثلاً ولا يهمك تعلم لغة دينك ؟ وما الذي صعب عليك هذا وسهل ذاك ؟ ام انت غافل انك مغبون في استبدالك هذا شرّ غبن ؟ ام ترى همتك اقل من ان تخولك تحصيل لغة غير لغة ابيك — في مثل هذا العصر عصر الاهتمام بمعرفة اللغات — وما هي الا لغة دينك ودين آبائك الاولين ؟

كن من اي عنصر شئت انك محتفظ به ما عشت . ان تعلم لغة القرآن لا يضر في جنسيتك شيئاً . احتفظ بلغة قومك واحتفل بلغة دينك لكل منهما مقام معلوم وقيود الجنسية معتبرة منطقا . كل عنصر محكوم — مستعمراً كان او خولاً — تنتشر فيه لغة حاكمه ولو بعض الانتشار ثم في الوقت نفسه

تجده محتفظاً بلغة قومه . ان ابتلاع العناصر ليس بالامر اليسير

لماذا امكنك الاهتمام بلغة حكومتك = اية حكومة كانت — ايها المسلم ولم تسنح لك الفرصة ! ان تتعلم لغة دينك ؟ الهندي مثلاً يعلم الانكليزية والتاتاري الروسية كذلك الايراني الفارسية والكردي التركية ثم كلهم عن الاهتمام بلغة القرآن غافلون . بل العربي نفسه يعلم التركية ويتعلق باهداب الافرنسية مثلاً وهو لا يحسن لغة قومه ودينه فماذا عسى ان يكون السر في ذلك يا ترى ؟ اما والله لئن كان في معرفتك لغة حكومتك خدمة لمصالح دنياك فان في تعلمك لغة دينك خدمة كبرى لمصالح دنياك وآخرتك معاً وللدار الاخرة خير

« ومن يبع آجلاً منه بعاجله   يبن له الغبن في بيع وفي سلم »

مظلومة انت يالغة القرآن .. ! وحتى بنوك لك ظالمون

ايها المسلمون ! لا صلاح يرجى لكم ولا فلاح ولا نجاة ولا نجاح حتى تكونوا كما وصفكم نبيكم « ص » بقوله : — وما ينطق عن الهوى — ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى (١) اي من شأن المؤمنين ان يكونوا كذلك . وما هذا الا الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية بحيث يتلاشى امام هذا العامل الاكبر كل عامل حتى يتجلي سر قوله « ص » لا

«١» في كتاب الادب من صحيح البخاري عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما

عصبية في الاسلام . ليس منا من دعا الى عصبية «١» هنالك تتجلى قوة هائلة تجري في عروق ذاك الجسد الكبير جريان الدم في الشرايين وتنتظم حركات القلب بانتظام الدورة الدموية واعتدال المزاج الطبيعي وتنتشر في عموم البدن حرارة طبيعية تعين كل عضو عَلَى عمله مطابقاً لقانون « علم وظائف الاعضاء » وعندئذٍ تطيب وتلذ بكل مظاهرها الحياة : حياة العالم الاسلامي، وخلافته المقدسة، وشعوبه المتشردة في الاقطار . وكذلك الاتحاد اكبر عوامل الحياة بل هو الحياة نفسها وما علا الا بذلك شأن اسلافنا الاكرمين : اذ كان شعارهم التوحيد ودثارهم الاتحاد . وان اقرب طريق لبلوغ هذه الغاية القصوى وخير سبيل تعميم لغة القرآن . ذلك : لان الغرض الاصلي من الاتحاد اعنى الاشتراك في العمل موقوف عَلَى الوحدة في الاحساس، وتوحيد الاحساسات منوط بالتفاهم، واللغة هي الواسطة الوحيدة للتفاهم والترجمان الفرد . ثم اضف الى هذا ان لغة القرآن هي السبب المستقل للتأدب بآداب الدين — كما مر — وينجم عن هذا وذاك وحدة الاخلاق والتعاليم . وهذه هي المؤدية الى وحدة الاحساسات . ومتى اتحدت الاحساسات تم الاشتراك في الاعمال وتجلى الاتحاد بكل معانيه وسطعت فوائده بكل انوارها . وهذا هو السر المرموز في سياسة الخليفة الثاني « ض » اذ انهى اليه احد عماله في شأن بلد قريب عهد بالفتح فكتب

«١» وهذا غير معنى الاحتفاظ بالجنسية ولا يقدح فيه بل لكل وجهة كيف لا والنزعات الجنسية مؤيدة بناموس الحي يعضد ناموساً طبيعياً من فلسفة الاجتماع . وذلك قوله تعالى وجعلكم شعوباً وقبائل لتعارفوا وقد حققناه في محل آخر

اليه ان يروض ناشئتهم عَلَى درس القرآن

ولو فكرنا فيما يمني به انفسهم بعض علماء الاجتماع من وضع لغة عامة لابناء آدم وحواء تقرب الانسان من الانسان وتزيل بعض الوحشة من بين هولاء الاخوان وتبث في الحياة الاجتماعية روحاً جديدة تخفف كثيراً من ويلاتها وتسهل عليها الكثير من حاجياتها = لو فكرنا في ذلك ثم نظرنا في انفسنا معاشر المسلمين : كيف رضينا بالموت وفينا اسباب الحياة — اذ قتلنا روحاً اعطاناها الله من حيث يتحسر لمثلها المفكرون من عباده — لانتبهنا من غفلتنا واعترفنا بذنوبنا و بكينا عَلَى انفسنا وعرفنا اننا ظالمون وعليها معتدون

فالى تعميم لغة القرآن ايها المسلمون الى تعميم لغة القرآن . . ! ثم الى الاتحاد ايها المسلمون الى الاتحاد . . وما ادري ما الذي يمنعكم من هذا: الهكم واحد، نبيكم واحد، قرآنكم واحد، فروضكم واحدة، اصولكم واحدة، ثم انتم انفسكم مختلفون ! اطرحوا النزاعات المذهبية جانبا : ان الاختلاف في الفروع غير الاختلاف في الاصول ولكن آه ثم آه ! لقد كسوتموه غير كسوة وصبغتموه غير صبغة حتى بدد شملكم وفرق جمعكم ومن ثم كان جناية عَلَى الروح التي كلكم بها مرتبطون والحبل الذي انتم به جميعاً معتصمون . ان اختلافكم هذا قد عاد حربة عَلَى قلب الدين : الا ان كلمة التوحيد من عدوها عَلَى خطر عظيم، فمتى تهتدون ايها الموحدون فتحفظوا كيان اصولكم من كيد عدوه ؟ وما ضركم لو انكم في بعض الفروع مختلفون . الا لا حياة لكم بعد اليوم الا بالاتحاد ،

فالى الاتحاد ايها المسلمون الى الاتحاد .. والاّ فان الداء لعضال وان الاجل لقريب ولات حين مناص

قد عرفتم المسئلة الشرقية ايها المسلمون ! ثقوا بالله انها ستار، ومن ورائه العقدة الاسلامية، وحلها القضاء على الاسلام والمسلمين . ذلك بان تقويض البناء بثل عروشه وقض دعائمه وانما الشرق صرح عظيم انتم عروشه ودعائمه ايها المسلمون .

لقد غالى الغرب في معامل السلاح ، وتفنن في اختراع المخربات ، ثم لانجده يجرب سلاحه القاتل ومخرباته المخترعة الا في جسم الشرق وابنائه البائسين وفي مقدمة القوم نرى انفسنا نحن معشر المسلمين .

تدبروا رحمكم الله هل تذكرون حربا دارت رحاها واستعرت نارها الاوكان قطبها الشرق وحطبها اهل التوحيد من اخوانكم المسلمين ؟ اعيروا التاريخ نظرة بصير تجدوا ما ينيف على خمس عشرة حكومة اسلامية حكم عليها بالانقراض فانقضت عروش استقلالها شيئاً فشيئاً كما تنتثر الكواكب في جنح الليل البهيم . اما غيرها من الحكومات فهو محتفظ بنفسه آمن في سربه ولو كان اقل من لا شئ واوهن من بيت العنكبوت . ثم لم يكف هذا كله حتى اصبحنا وقد افضت النوبة الى الهلال ليلتحق بدر الخلافة بهاتيك الكواكب: يدركه خسوف ويكبحه محاق .

عجيب والله من هذا العصر، عصر المدنية !! والنور !! — ام عصر الظلم

والظلم والوحشة والعاهات ؟ — عجيب والله : ثلاثمائة وخمسون مليوناً من صميم البشر يراد تذليلهم واستعبادهم قرابين على مذبح الاهواء الفاسدة والجشع الملعون ... هل تعرفون من يعد هذا العدد الوافر ؟ انتم ، اجل انتم ايها المسلمون ! .

عجيب والله وفوق العجيب : ان عدداً مثل عددكم هذا يرضى بحمل الضيم وخفض العيش وذل الحياة كما انكم راضون .

واعجب من هذا وذاك ان حجتكم ناصعة وطريقكم واضحة وفي ايديكم وسائل الحياة وانتم مستميتون وعن كل هذا معرضون فحتى م هذه الاستماتة ومتى تحيون ايها المسلمون

لقد قام البرهان من فلسفة الاجتماع ان لا شوكة الا بالملك ولا ملك الا بالعصبية وهي النظرية التي لا يكاد يختلف فيها اثنان وان كنا نحن عن مثلها غافلين . ثم ان مناط السر من العصبية في ذلك انما هو وحدة الاحساس وما ينبعث عنها من اجتماع الايدي والاشتراك في العمل . ولما كان الدين اكبر عامل يحكم القلوب ويتحكم في الشعوز كان اقوى عملاً واشد تأثيراً من العصبية لتوحيد الاحساس ولم الشعث بشرط حسن الاستعمال لذلك العامل كما تشهد بذلك صحائف التاريخ فيمن غبر من الامم والشعوب وما لعبوه من الادوار تحت هذا الستار على مسرح السياسة في

سبيل الغلب والنفوذ وسيطرة قوم على آخرين . واقرب مثال يمثل لنا هذه الحقيقة فشل العثماني وظفر البلقاني نصب اعيننا في يومنا هذا اذ اشهروها حرباً دينية واشهرناها حرباً وطنية فكان النجاح في جانب الدين وكانت نتائج الحرب مما لم يعلق به احلام النائمين ولا افكار المستيقظين . (*)

اما الشرع المحمدي فقد جعل لهذا العامل عامل الدين الاكبر مرآة اجتلاء خلت عن مثل صبغتها بقية الاديان ولكن المسلمين عن صيقل هاتيك المرآة غافلون .

ما هي تلك المرآة ؟ هي الخلافة المقدسة الاسلامية .

نبوني ايها المسلمون : ماذا عسى ان اقول ؟ فاني احس بعقدة في لساني وحرج في صدري اذ انتهى بي الكلام الى هذه الكلمة كلمة الخلافة . يكاد يقتلني والله الاسف ويقضى عليَّ الحزن لهذه الدرة الثمينة كيف اضعناها فاضعنا انفسنا واصبحنا في هذا المعترك هملاً لا راعي الاذئب ولا هادي الاغراب مشتتين في مشارق الارض ومغاربها يحكمنا الاغيار حكماً قاسيا ومالنا من شرف الملة وعز الدين نصيب .

ان المؤدب الذي قام بهذا الدين وما كانت رسالته الا رحمةً للعالمين = اذ دعى الى توحيد الكلمة بكلمة التوحيد وامر عباد الله ان يكونوا اخوانا معتصمين بحبل الوفاق اين حلوا وايان ارتحلوا = لم يكن غافلا عن

(*) اما تطاحن الحلفاء بعدها فليعتبر به غير المسلمين من ابناء الهلال

منازع الفطرة وغريزيات البشر وما كان ليكلفنا معشر المسلمين شططاً ومن هنا شرع لنا ما يسهل علينا اتباع سننه لا تفاق الكلمة وجمع الشتات باوضح طريق : فجعل لنا الخلافة الاسلامية رابطةً كبرى تؤلف ذات البين وتضم ما بين الخافقين بالرغم عن كل عقبة كؤد . ذلك لمن كان يهمه امر دينه فيقدر الحقائق قدرها واحرى بكل ذى دين ان يحتفظ به من حيث انه دينه والا « فلا يعبث بالتوراة ! »

يا اخوان الدين ! لا يجهل احدكم ما لامر الخلافة في الملة من علو الشان وسمو المكان كارتباط الكثير من العبادات والعقود والمعاملات بحبلها المتين — كما هو منصوص في الصحف الدينية والكتب المذهبية — حتى كادت تلتحق بضروريات الدين والملة — كالصوم والصلاة — لا يكاد يجهل امرها الفرد الواحد من صغار الامة فضلاً عن كبارها ، ونسائها فضلاً عن رجالها . وحسبنا في ذلك ما ورد في الاثر عن الشارع الاعظم « ص » : من مات ولم يعرف امام وقته فقد مات ميتة جاهلية فايكم يحب ان يموت مثل هذه الميتة ان كنتم مسلمين ؟

يا حملة القرآن ! اني لا اقول هذا افهاماً لكم وتعليماً ولكن اريد ان اسئلكم عن السر في ذلك والهدف الذي لاجله اوترت تلك القوس واريشت هاتيك السهام . ثم اناشدكم الله والحقيقة : هل فطنتم لهذا السر يوماً فضربتم له

الاكباد ؟ ام متى تفطنون له وعليه تعملون ؟

اجل ورب البيت والمقام : ليس السر في ذلك الا ان تلتفوا حول عرش واحد ، وتعتصموا جميعاً بحبل واحد ، وتستظلوا — فلا تضلوا — بلواء واحد فتمنعوا دركم ، وتحموا حقيقتكم ، وتكونوا من عزّ الجانب وسعادة الدارين في ذروة سامية وعلَى صراط مستقيم ثم لا يفجعكم الزمان بمثل ما حل بكم في هذا العهد الاخير : شوارد اوابد ، يقتنصكم كل مفترس ويلعب بكم كل عابث وقد ضاقت عليكم الارض برحبها حيارى لا تدرون ماذا تصنعون ، ثلاثمائة وخمسون مليوناً متشردون متشتتون تقتسمهم الاهواء ولا اقتسام الميراث وهم ازاء ذلك مستميتون . قولوا ارشدكم الله اليست هذه حالتكم اليوم ؟ وهل فطنتم لبعض الداء والدواء ام حتى الان انتم جاهلون ؟

هلموا بنا الى التاريخ نختطّ منه خريطة تمثل لنا الحقائق شهوداً وعياناً ان كنا عن التعقل عاجزين . انا لا اشك في ان مثل هذه الخريطة لا يكاد يجري علَى صفحاتها القلم حتى تتفقع مرائر وتنهل دموع ، ثم بمثل هذه المائعات ترسم تلك الخريطة بدلاً من المداد ذي الالوان ...... لا حاجة لنا بذلك : ان قلب المؤمن مرآة اجتلاء ، وان قلباً خلا عن مثل هاتيك المثل لحقيق ان لا تضمه جوانح تجنح للملة وتغار علَى الدين وتطمئن بذكر

الله : فانظروا الى مرايا قلوبكم تجدوا فيها جروحاً داميات ، تذكاراً من طوارق الليالي وحوادث التاريخ . وهذه الجروح تمثل تلك الخريطة بشكل آخر غريب عجيب !

لا اذكر الاندلس مطلع الشمس والقمر وما جنت عليها الايام مما يحمرّ له وجه الانسانية خجلاً = فقد دبت علَى ذلك عصور ، والانسان نسيّ وان كان سهمها النافذ في القلب لم ينفصل عنه ، يهتز لادنى تذكرة فتهتز له الاعصاب الماً وتنبض له العروق حنقاً = ولكن الفت الانظار الى ما نزل بالمسلمين في هذا العصر الاخير ..... وهنا لا يسع المسلم الا ان يكثر من التلهف بكل معانيه ، ثم يدعو كل شيءٍ يتلهف معه . والامر بما فوق ذلك جدير :

لهف الارض والسماء ، والكتاب والسنة ، علَى الجزائر واميرها ، وتونس وحاكمها ، ومراكش ومنعتها ، ثم علَى طرابلس وحماتها . لهف البيت والميزاب ، والمنبر والمحراب ، علَى بخارى وعلمائها ، والصين وفقرائها ، والهند واغنيائها ، ثم علَى ايران واستقلالها . لهف الركن والمقام وزمزم والحطيم علَى كريد ومهاجريها ، وهرسك ومظلوميها ، و بلغاريا ومحكوميها ، ثم علَى دماء سفكت ، وحرمات هتكت ، واعراض مزقت ، واطفال حرقت ، ومحراب صار مذبحاً ، ومآذن خفت فيها صوت التوحيد وخفق عليها علم

التثليث . لهف اللهف نفسه و بكل معانيه علَى اوروبا وافريقاء وميراث الآباء للابناء وعلَى احياء هناك كأنهم اموات واموات كأنهم احياء حيث لم يبق لنا هنالك غير الامرين: سلام المودع ونظرة الآيس (*) وما اشبه الرجعة بخفي حنين . وللايام خبءٌ غير هذا مما ترجف له الارض وتمور السماء ان كنتم تعلمون . ذلك بان الله لم يك مغير نعمة انعمها علَى قوم حتى يغيروا ما بانفسهم . وبهذه الآية من كتاب الله اختم كلمتي اليكم ايها المسلمون فهل انتم منتهون ؟

غير المسلمين

يا قوم — وار يد منكم غير المسلمين من مواطنيَّ الشرقيين ! — لا تغرنكم الصيحة ولا تختلبنَّ عقولكم الصفحات ذوات الالوان . ان الغربي لا يعرف من نفسه اكثر من انه سياسيّ فيلعب ادواره علَى هذا المسرح ولا يهمه سواه، فكيف جرته الفصول ارخى لها مثل ذلك من الاستار، وربما كان احدها الدين فيلعب من وراء ستاره حتى اذا تم الفصل فلا اثر لهاتيك المشاهد ولا عين وانما هي تمثيل رواية اريد به العبث بالبسطاء قضاء لمصالح وترويجاً لمآرب . وان فيما جرت الحوادث علَى المتبتلات والمتبتلين وشيخ الكل في الكل ابن الثمانين لشاهد عدلٍ علَى ذلك وخبر يقين . تذكروا فتدبروا

(*) ثم ابتسم ثغر الامل باسترجاع ادرنة على عهد الوزارة الحليمية نحيا الله الثبات

عافاكم الله في الدولة التي تتلطف برجال الاكليروس في بلادنا أليست هي الدولة التي هدمت الباستيل وقوضت صروح الفاتيكان وفتكت في رجال الدين ورؤسائه في عاصمة ملكها مهد الحرية وامام قوائم العرش عرش الجمهورية ؟ لا بدَّ من سر في هذا التناقض ولكنه ليس بالمعمى الذي يصعب حله : ان الماء يجري ما اصاب مسيلا وكذلك عمل الساسة منوط بعوامل السلطة والنفوذ فلو كان رجال الاكليروس رهن تلك الحبالة لما نجوا من حيث قضى علَى اخوانهم بالدمار . وما ذاك التلطف الا الحبة الصائد امام الاشراك فاعيذكم بالله يا قوم ان تكونوا عصفوراً وقع في الفخ فلا الحبة لقط ولا نفسه انجى وما كان من امره الا ان نتف ريشه وقطعت اوداجه وصار نقلاً في مجلس الشراب لمترفين فكهين وقد مر بك ايها الشرقي تفصيل حال اخيك الغربي اذا دخل بلادك وامتلك زمامك وعرفت انه خالي الضمير من كل عاطفة الا ما يسميه بالمنفعة الشخصية او القومية او الوطنية . ولا تجمعه واياك هذه العواطف حتى يئوب القارظان او يتلاشى ظلك امام وجوده فتكون له عبداً ويكون لك سيدا . ومن كان له المام بحياة المستعمرات الشرقية وما يكابدونه علَى فراش الاسر من يدئ الغربي في شد الوثاق وتحكيم الاغلال في الاعناق نفعته العظة وكفته العبرة ونفض الغبار وخلع عن منكبيه الازار . الا فاعتصبوا لاوطانكم — اعانكم الله — حق الاعتصاب

قبل ان تحرموا في ظلالها لذة الاثرة وتساموا في دياركم سوء العذاب وانه لعناء قوم في سبيل هناء قوم آخرين

العرب

يا قوم وار بد منكم الناطقين بالضاد ! الله اكبر : ممن القوم ؟ — :

من العرب الاولى ركبوا المنايا … يخالون المنايا الصافنات (*)
اذا ما صافحوا بيض المواضى … رأوها مثل بيض الغانيات
فان خضعت لذى بطش رقاب … فليس رقابهم بالخاضعات
الى بحبوحة الكبش المفدى … يخوضون المعامع في الفلاة
ولم يأمن عواليهم مليك … تحصن في قصور عاليات
وتخمد نار حرب اصطلوها … وما نيرانهم بالخامدات
تقطب اوجه الابطال رعباً … واوجههم تراها باسمات
اذا غضبت خيولهم حذوها … نعالاً من انوف شامخات
خيول طالما غارت فداست … خدوداً بالدماء مضرجات

(*) من قصيدة للمؤلف عنوانها « انتحار ادبي لا افتخار عربي » نشرتها واقتبستها الصحف الاتحادية والائتلافية مثل نينوى في الموصل والمفيد في بيروت والمقتبس في دمشق . ولا بأس بقطع الهمزة في اصطلوها

اولئك آل قحطان فجئني … بمثل اولئك الشوس الكماة
ثكلتك يا زمان أليس منهم … بقايا من بنين ومن بنات
لقد انكرت من قومي وجوهاً … عهدت سماتها غير السمات
لقد اخنى عليها الدهر حتى … كربت اظنها غير اللواتي
وما عهدي بقومي ان يضاموا … فيعنوا للطغاة وللبغاة
ولم اعرف لعدنان نفوساً … عَلَى صاب المذلة صابرات
بذات الله اقسم ان موتاً … احب اليّ من هذى الحياة

يا قوم السنتم خيرة الله من خلقه كما ورد في الاثر عن سيد البشر « ص » ثم اثبت ذلك ما رسمتموه عَلَى جبين الدهر مما اورثكم فخرا وخلد لكم ذكرا ؟ فما هذا التبدل العجيب ، والانقلاب الكبير في تلك الاخلاق الفاضلة ، والمزايا السامية ؟ وكيف زهدتم في احساب عظيمة لهاتيك الانساب الكريمة ومن قعد به حسبه لاينهض به نسبه ؟

اين ذاك المجد المؤثل ، والشرف الباذخ ، والصيت الطائر ، والعز المنيع ؟ اين ذاك العلم النافع ، والفضل الواسع ، والعمل الخالص ، والعزم المتين ؟ اين تلك النفوس الابية ، والشمائل الزكية ، والعواطف الشريفة والاحساسات العالية مما تعطي الانسانية نصيباً يلحق صاحبه بالملكوت ؟ ام اين تلك الاعلام المنشورة ، والمآثر المسطورة ، والمفاخر المشهورة ؟ ثم

اين تلك الاحلام الراجحة ، والحجج الواضحة ، والاعمال الناجحة ؟ اجل : قد اخنى عَلَى كل ذلك ، الذي اخنى عَلَى لبد . ولكن حتى متى ؟ أو حتى الابد . . ؟ مهلاً بني قومي مهلا ! أَلستم ابناء اولئك الآباء وانتم لهم الوارثون ؟ فما لكم قد جهلتم انفسكم ، وحتى متى انتم لها ظالمون؟

اتصل ذنب القرون الاولى برأس القرون الوسطى والكون صحيفة سوداء ، لا ذكر ولا فكر : نار توقد لتعبد ، واحجار تنحت ثم يركع لها ويسجد وزوايا فيها خبايا قعدت الحبى ، واخلدت الى السكون ؛ ورضيت ان تكون بمعزل عن الحياة : فكان الانسان يأكل الانسان ، والجماد يفضل الحيوان والخرافة عَلَى الافكار سائدة ، والامم بين هذا وذاك بائرة بائدة . ثم ما زال هذا المجتمع الانساني اشبه شئ بمعترك حيواني ، وما برحت الارجاء مظلمة ، والاعماق قاتمة حتى سطع من خباكم النور وتفجرت في حماكم ينابيع الحكمة فاخذت تلك الغياهب تنجلي شيئاً فشيئاً حتى ابيض الاسود وازرق الاحمر واخضر اليابس واينع الهشيم واسفر الكون عن حياة جديدة ونشئة اخرى . فانتم استاذ الكل في الكل : بكم المبتدأ وعسى ان يكون اليكم المنتهى . ولكن كيف ، واين ؟ وها انتم عَلَى مضاجع الخمول نائمون وفي تيار الغفلة سابحون ، ثم ها انتم تعبث بكم ريح الاهواء ، ويتاقذكم موج الشقاق ، ولا ساحل سلامة ولا سفينة وفاق ، وما هذا الا

الموت لو كنتم تعلمون .

عجيب والله ثم عجيب : ترضون بالموت وبكم بدأت الحياة ، تتخبطون في دياجر ظلمته ومنكم انتشر نورها . الله اكبر ! أهكذا تتلاشى المدارك ، وتدك المشاعر ؟ ثم هكذا تضعف القلوب ، وتموت العواطف ؟ الى متى هذا السبات العميق ؟ الم تستفزّ النيام مزعجات الاحلام ؟ ام ترون بعدُ في القرس منزعا ؟ هيهات هيهات ! ما وراء مانزل بكم من وراء : حسبكم التفاتة نحو الامس وما فعل ، ونظرةٌ الى اليوم وما هو فاعل ، ثم فكرة في الغد وما سيفعل ان كنتم قوماً فطنين . تدبروا رحمكم الله هل ترون فوق ما نزل بكم الا ان تقبروا احياء كما كانت توئد البنات ؟ وخير من موتى الاحياء موتى القبور . . . . . الله الله في انفسكم فشدما ظلمتموها وفي حقوقكم فطالما اضعتموها ، وفي لغتكم البديعة فقد شوهتموها ، وفي حياتكم الادبية فقد قبرتموها ، وفي قوتكم الوافية فقد جزأتموها ولئن ظللتم عَلَى هذا المنهج سائرين فاوشك بكم ان تتخطفكم الايدي من كل صوب ثم ترمى بكم من مكان سحيق فاذا انتم اثر بعد عين .

يا قوم يقال فيكم كلمات . اصحيح ما يقال ؟ يقولون : اتفق العرب عَلَى ان لا يتفقوا . اصحيح ما يقولون . . ولماذا ؟ نبئوني ارشدكم الله اي ثمرة جنيتم من هاتيك الاشواك اشواك التنابذ والتخالف والتناكر والشقاق ؟

ام لذ لكم ان يأكل بعضكم بعضا حتى تصبحوا وما انتم الا قصاع تتضارب عليها ايدي الجياع من امم آخرين ؟

يقولون : ان السر في ذلك ما فطر عليه العرب من حب الرياسة وعلى مثل هذه المخالب تمزق اديم الوفاق . اصحيح ما يقولون ؟ فكيف صح لكم ان تكونوا كلكم اذنابا ؟ بل كانكم جسد تركب من غير رأس . وربما كان من غير قلب كذلك . ام فطرتم على الانفة ' ولكن منكم ' والعزة ، ولكن على انفسكم فكلكم مغنية الحي كما وصفها شاعركم : لا تطرب فترون العجيب كلام الغريب اما قول القريب فـلا يعجب فاذ اتندت ميازيكم بخير فعلى غير جيرانكم تقلب ؟ ان كان الامر كذلك فياويح الباحث على حتفه بظلفه وفي مثل هذا يقال على نفسها جنت براقش . فهل انتم مستيقظون ؟

يقولون : ان العرب ابعد الامم عن السياسة . اصحيح ما يقولون ؟ فكيف تسنى لآبائكم ان وضعوا اس الحضارة ورفعوا قواعد التمدن واوقدوا نارهما على علم حتى اهتدى بها القاصي والداني فكانوا ساسة العالم اجمع وشادوا عرشاً عظيماً وملكاً كبيراً ؟

يقولون : ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط . اصحيح ما يقولون ؟ فمن ذا الذي دوخ كسرى وايوانه ، وذلل هرقل واعوانه ، وهز قيصر واركانه ، ثم اباد رودريق وسلطانه ؟ ام من ذا الذي ركب البحار ، وشق

القفار ، وتبسط في الاقطار وخفقت اعلامه في الخافقين وكان في سماء العزة ثالث القمرين ؟

يقولون : ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب وانهم ابعد الناس عن الصنايع . اصحيح ما يقولون ؟ فمن ذا الذي اختط بغداد وشاد دعائم قرطبة ثم كساهما ثوب بهاء وسناء طاولتا به قبة الفلك وفاخرتا عقد الجوزاء فكان لهما النصيب الاوفر حتى تناقلت حديثهما الركبان وضربت بهما الامثال ؟ بمن بلغت الاندلس رشدها فسالت اوديتها ، وغصت انديتها ، واخصبت ربوعها ، و بسقت فروعها وازدهت رياضها وامتلئت حياضها ، وزهت ازهارها ، واينعت اثمارها ، وغردت اطيارها ، وهكذا شمخت اعرافها الى سماء الحضارة والعمران وضربت منهما بالقدح المعلى حتى امست في تلك الآفاق بدرها الكامل وفيضها الشامل تشد اليها الرحال وتوفد اليها الوفود طمعاً في قبسة من انوارها ونسمة من اسحارها ونفخة من رُوحها ونفحة من رَوحها ؟ بمن كانت تلك الارجاء مهد العلم والعرفان والحسن والاحسان والفضل والافضال ؟ بمن كانت مضمار علم وعمل وجد ونشاط : فمصانع ومعامل ومدارس ومحافل وافكار نيرة وايدٍ عاملة وربع آهل ؟ لمن كانت هندسة الزهراء . . واي ايد شادت قصر الحمراء فسارا مثلا وكانا للعاملين على مثلهما خير مثال ؟ ممن كانت تستمد حياتها تلك الحضارة الوضائة وما

كانت جاراتها الا امواتاً لديها يتطلبون الحياة وعليها يعولون؟ اي ايدٍ كفت تلك المدنية الراقية حاجاتها ؟ ثم اي اقلام ملئت المكتبات مكتبات العالم اجمع من علوم شتى وفنون متنوعة وكتب ضخام ؟

هل فيكم من يذكر الحكم بن الناصر واعماله وسلطانه وجلاله اذ تقبل يديه الملوك وتخضع لديه ولا خضوع الصعلوك ؟ كم مائة الف كتاب كان في مكتبته من المؤلفات العربية (٤٠٠ الف) واي كتاب منهن لم يسرح فيه نظراً اولم يخط عليه شيئاً بيمينه على انهماكه في سياسة ذلك الملك العظيم ؟ ليت شعري هل فينا من تناجيه نفسه : ماذا كانت مضامين هاتيك الكتب الكثر .. وما كان من امرها بعد ما افل نجم العرب من تلك الربوع .. وكيف حاضرنا بالاضافة الى ذاك الغابر ؟

نقرأ التاريخ ولا تتدبر مغزاه بل ربما لم نفقه معناه

هل فينا من يذكر البهو الكبير المشرف باعلى مدينة الزهراء وشأن الناصر وام ولده الحكم اذ اخذ الطبيب الآلة ليجس يد الناصر فاذا بزرزور مطل صعد على اناء من ذهب وهو يقول :

ايها القاصد رفقاً	بامير المؤمنينا
انما تقصد عرقاً	فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة وكانت ام الحكم قد صنعت ذلك فسر

الناصر وقدر لها عملها هذا واجزل لها العطاء (*) أفيجدر بنا بعد ما سطر لنا التاريخ [illegible] الدهشة من حصر الصوت ونقل الصدى ونعده من مخترعات العصر وما هو الا قبسة من انوار مجدنا الداثر اماتتها نفوسنا الضعيفة واحيتها نفوس عبقرية من قوم ساهرين ؟

ليت شعري اي درجةٍ قصوى بلغ النشاط والعمل في عهد تلك الحضارة حتى افضت الحال بزوج امير المؤمنين ان تهتدي الى مثل ذاك العمل الكبير ؟ ان في هذا لمدكراً لقوم يتدبرون ! .. تعرفوا عرف القوم من « نفح الطيب » واسترشدوا بابن رشد واضرابه ثم قولوا : ما اصدق لهجة هذا الخطيب .

سلام الله عليكم عوجوا بنا هنيهةً نحو دار السلام « بغداد » عوجوا بنا هنالك نسائل اطلالاً درست واعلاماً طمست ومخافر اخفرت واواهل اقفرت ، نسائل عيوناً غائرة ورسوماً داثرة وقصوراً خالية وعروشاً خاوية ، نسائل مدارس علم دارسات ومعاهد فنٍ طامسات ومرافق صناعة عافيات ونوادي ومجتمعات موحشات مقفرات، نسائل جنات عادتها النجوم وعاودتها السموم فكانت هشيما وآض مائها حميما ، نسائل كل اولئك ثم نناد بصوت حزين : الاهل من مجيب

« * » ج : ١ : من الفتوحات الاسلامية ص ٢٣٦

آهٍ ثم اه ! كيف انتثر عقد النظامية وعشعشت الغربان على اعراف المستنصرية ؟ اين ابو بكر ؟ رحم الله ابا بكر وماذا صنع الدهر بمستشفاه ؟ اين جابر ؟ رحم الله ابن ام جابر فكم جبر كسراً وخلد فخراً ا سلام على عهد الرشيد ومفاخره والمأمون ومآثره وعلى الفارابي ومعجزاته والكندي وبيناته وعلى عظام رجال عظام امثالهما زانوا صحائف التاريخ بسطور من خالص الابريز . سلام على سامراء وعهد شبابها النضروتاجها المرصع واكليلها الوضاء . آهٍ ثم آه على تلك الربوع العامرة والوجوه الناضرة وعلى ذاك العصر الذهبي كيف ولى عيشه الرغد وصوحت رياضه الخضراء . !

يا قوم ! قد عرفتم ما قيل وما يقال ووعيتم مبلغ ذلك من اجدادكم الاماجد واسلافكم الاكرمين اجل : ان هو الا حديث مفترى تشدقت به الافواه بين بواعث شتى لا يكللها حق ولا تعضدها حقيقة فهو البهتان الذي يكذبه العيان ويمقته التاريخ ويسخر به اهل الفكر ويلعنه اصحاب الانصاف . هذا مبلغ هاتيك الاراجيف من سلفكم الصالح قد عرفتموه ووعيتموه فهل لكم ان تفكروا في مبلغها منكم ومركزكم منها معاشر الاحفاد لاولئك الاجداد والاخلاف لاولئك الاسلاف !

لكأني بكم وقد هالكم الموقف ازاء هذا السوآل حيث لا تحسنون له جواباً غير جارح تحمر له الوجنات ويرفض منه الجبين عرقا . ذلك : بان

لواتركم شاهد عدل من انفسكم بما رضيتموه لها من الضعة والخور، والخمول والجمود، وذل الجانب، وخفض العيش، والجهل بالحقائق، والغفلة عن مخبآت الغيب فكنتم في معترك الحياة هملاً لا يعبأ بكم وفي هذا الوجود غوغاء لا يفقهُ منكم ولا تفقهون منه شيئاًسوى انكم « كثيراذا عدوا قليل اذا اعتدوا » وهي الدركة التي لن يكاديرضاها لنفسه ذو عقل سليم وطبع مستقيم

فسبحان الذي نظمكم نظم الاصابع في الكف ثم جعل تلك الكف شلاء : ما اخال امةً انتظمت في خط جغرافي انتظامكم يا قوم — فاليمن والحجاز ونجد والعراق وسوريا ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش — ثم ما اخال امة انتثر عقد جامعتها انتثاركم هذا، فهل انتم مستبصرون ؟ تعالى الله الواحد القهار ان في هذا الذكرى للذاكرين وعبرةً للمعتبرين

افريقاء

يا قوم — واريد منكم ابناء افريقاء من اعراف الاهرام اهرام مصر حتى اعماق مراكش — عرفنا اخبار بابل اذ تبلبلت وانباء سبأ اذ تفرقت، فضربنا بها الامثال وما كنا نودُّ ان يكون لها ثالث . فما الذي شاقكم وراق انظاركم من تلك المصارع الموحشة حتى مثلتم روايتها الآسيوية في ربوع افريقاء ؟

أسماك في بحار، ام ظباء في قفار : وما حظ كليهما الا انياب الجوارح وعرقلة الاشباك ؟ اما والله لوتآ لفت الجآذر واحتاطت لامرها الحيتان

لكنَّ في منعة من يد المصطاد · فكيف بام امثالكم ، وفر فيها ما نقص كثيراً من الانسان ، وشيجةِ الارحام ، مشتبكةِ الحلقاتُ فلو شائت لالتحمت بسداها فهبت من سبات ونهضت من وهدة ثم ضربت سوراً من الموت الاحمر بينها و بين كل معتدٍ اثيم

أمن المروءة ان يعرفكم عدوكم اسوداً كواسر ثم تظهرون له بمثل جلود الثعالب ؟ فاذا الفخاخ منصو بة واذا انتم في كل حبالة تتخبطون ؟ تلك اليد الاور بية قد ضيقت منكم الخناق , ألم يأنِ ان تحطموا هاتيك القيود والاغلال فاذا انتم احرار لا يرهقكم ذل ولا تسامون خسفا ؟

حتى متى يتطير منكم العدو وانتم له متفائلون ؟ قد عرف ساسة الغرب ان اورو با وافر يقاء كفتا ميزان تحوبان موتاً وحياة ، فكيف رضيتم ان يكون بجانبكم الموت فيعيش قوم بعمر آخرين ؟ يقولون : ان اور با مراتع غزلان يقظي وان افر يقاء مرابض اسد نيام ؟ فاطيلوا سبات هذة الاسود ليدوم اللعب لهاتيك الظباء · فيا عيوناً راقدة , و يا مشاعر خامدة ، ثم يا افئدة جامدة !·· الى متى يشقى قوم ليسعد آخرون ؟

حسبكم هذا الرقاد الهائل ، فقد سطع ضوء النهار ، أو اصحاب الكهف انتم ؟ لقد تسنت يوماً لاولئك يقظةٌ ما ، وها انتم هوءلاء مـا زلتم راقدين · تزحزحوا عن مضاجعكم قليلاً فانما حشوها قتـاد ، افتحوا اجفانكم فقد اغمضتموها عَلَى القذى · ام قد بلغ الخدر من اعصابكم ان لا تحسَّ بالالم مهما كان شديدا ؟ لقد صبَّ عليكم البلاء صباً وانتم عَلَى مضضه صابرون !

يا قوم ! حقق الله الظنون ، لقد اصبح الدين المحمدي و بكم قد ناط الامانيَّ وعليكم قد علق الآمال · استفتوا ضمائركم الطاهرة — رحمكم الله — : هل يليق بمثل هذا الآمل ان يخيب ؟ اما انه لسائل كريم فاجيبوه وآمل عظيم فلا تخيبوه وكونوا حيث ترضون الله وتعلو بكم كلمته ؟ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم موءمنين

يا قوم ! انما الايام دول ، وطالما كانت الدولة عليكم ، فمتى تكون لكم وهل انتم لمثل هذا مفكرون ؟ رب خطأ تكفيره تحر ير رقبة — كما تعلمون من دينكم الذي تدينون الله به — وقد اخطئتم ازاء انفسكم بما تعرفون وما تكفير ذاك الخطأ الا تحر ير هاتيك ارقاب : فالله الله في نفوس قتلتموها بسيف الذل وسفحتم دمها عَلَى بساط الهوان , ولو شئتم لنفختم فيها روحاً جديدةً فبعثتموها من ظلمة اللحد ونشرتموها من طيِّ الاكفان · اما والله انكم عن انفسكم لمسئولون

لقد تحررت كل الرقاب وها انتم في ربقة الاستعباد تتخبطون · حطم كل شعب قيده وانتم اسرى تحت نير الاستبداد ترزحون · تحررت ابناء حام وانتم عبيد ، ليفتح عينيه سام , وليشهد منظركم هذا ؟ ثم ليتنفس الصعداء اقروا عين ابيكم في ضريحه فانكم خيرة ابنائه وان ابنائه افضل العالمين ·

ان لكم شوكةً لا تخضد , وان لكم حصاةً لا تقرع ، فلو شئتم لكنتم جبهة الاسد ومخلب العقاب ، فربحتم حياة العز والرفاه والمجد والجلال · ولكنكم بانفسكم مهدتم لها سبيل الموت ؟ فكنتم جنائز متحركةً تندبها اقوام ويحيا بموتها آخرون

نبئوني رحمكم الله ! ما هذا الشتات وعوامل الوحدة فيكم ساطعة البرهان ؟ الله اكبر ، تسعون مليوناً شعارهم التوحيد بكل مظاهره : فالدين واحد واللسان واحد والعرق واحد والبيئة واحدة والتقاليد واحدة ثم هم انفسهم متفرقون وباجنحة الشتات هم طائرون ! اعيذكم بالله يا قوم ان تكونوا كما وصف الله عدوكم : تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يفقهون . الا ان الفرقة جهل وانها لمصير كل بوار . فهل لكم ان تنتبهوا لرمز الكتاب : كتاب الله ثم تكونوا قوماً صالحين ؟ ام قد حرمتم لذة الاعتماد عَلَى النفس والاستقلال بالارادة والثقة بالعشير فماتت منكم العواطف وتناكرت القلوب وتباعدت الايدي نخفتت الاصوات وذلت الاعناق واذا انتم « كأبلٍ مائةٍ لا تكاد تجد فيها راحلة » تقادون قود البعير ثم لا وليٌ ولا نصير ؟

يقولون : جبلت النفوس عَلَى حب عزها . وكأن هذا قانون طبيعي لابناء حواء ، لا يتخلف عنه فرد من الافراد فكيف انتم وهذا القانون الشريف ؟ ام يجدر بالشاذ ان يعدّ العشرات من الملايين ؟ الا من احب اراد ومن اراد فعل فماذا انتم فاعلون ؟

ان خير حظ النفس من مظاهر الحياة بحبوحة عز تتفيأ ظلالها وترتع منها في كل خصبٍ مريع . واي عزٍ لمن يتقلب في مصارع الاسر لا يملك من الامر شيئاً وقد ضربت في اعناقه الاغلال ثم لا يبدي حراكاً ولا تبعثه مشيئة فكأنه جماد ولكنما تحركه يد الاهواء لا الهواء ؟

خلني من بديع نظمك وعجيب نثرك يا مصري ، خلني من زخرف قصرك

ووشي ثيابك يا تونسي ، خلني من ميل اغصانك وشجو الحانك يا جزائري ، خلني من مجالس انسك وملاذ نفسك يا مراكشي ، دعوني من كل هذا يا قوم . ايكم يملك زمام نفسه يلويه في معترك الحياة كيف يريد ؟ ام ايكم يخط سطور حياته بيده ويسجلها في التاريخ بقلمه كما يشاء ؟ نبئوني بهذا ثم قولوا : اعزاء انتم ام اذلاء ، واحرار انتم ام عبيد . . ؟

اما انت يا طرابلسي فالله في عونك لا باخ قلبك ولا يريد ان يبوخ . ويح ابن امك مسعر حرب لو كان لك من ينصرك . . تريد الحياة ولكن لا يريدون ان يمنحوكها ، لقد سدوا دونها عليك السبيل . الا بعداً للقوم الظالمين ادأب عَلَى عملك — اخذ الله بيدك — انك ان مت كريماً فلن تحيا لئيماً وموت العز خير من عيش الهوان . اما ان امامك صحائف مفتوحة في التاريخ وليست السيوف التي بيدك الا اقلاماً ذهبية تخط هنالك ما شئت من مجد موثل وشرف خالد .

لتنكر عليك ساسة العصر وسياسة تمدنه النوري ! ! ان الانسانية معك تقدسك بلسان الحقيقة وتعترف لك بحق صراح . الا انك ايها الطرابلسي لذو تاريخ مجيد

فيا تاريخ حدث عن كرام خلعن عليك ثوب المكرمات «*»
ويا قلم المفاخر خط سطراً وضيئاً في جبين الدهر ناتي

«*» من قصيدة للمؤلف نشرتها الرأي العام من صحف بيروت تشير الى سياسة الغرب ومجايع الحربين في حول واحد وعنوانها « حياة حول ثم ماذا »

ويا من يخطب العلياء مهلاً بماذا قد بعثت الخاطبات ؟
فهلا رمت ابكار المعالي بمثل شمائل العرب الثقاة

اما ارواح الشهداء ففي حواصل طير خضر ترتع في الجنان ولدار الآخرة خير وذلك هو الفوز العظيم

اهملك قوم وتألب عليك آخرون . اما انت فقد عرفت واجبك : عرفت ان الوطن عزيز وان الاستقلال فيه اعز ، فبذلت قصاري جهدك للذب عن حوزتها والدفاع دون بيضتها وابيت ان تكون آخر لقمة سائغة من ربوع افريقا وسكانها البائسين ، فعش كريمًا ومت كريمًا انك عَلَي خير كثير

يا ابناء افريقاء : يا ضحايا المدنية المزوقة وشهداء الانسانية ! عَلَي ايّ هياكل اريقت دمائكم الطاهرة ، وتحت ايّ اقدام قرّبتكم الانسانية المموّهة بالزعم والتضليل ؟ الا قاتل الله الاهواء ولعن الله المطامع كم تضرب بين الانسان والانسانية سوراً ملوثاً وحجاباً مستوراً . . . لا يفتننكم الشيطان ولا تغرنكم الاكاذيب ، لا اثر بعد عين ولا يقين بعد الشهود : اروني ماذا اراكم الاحتلال من مآثر تلك المدنية الممقوتة ومواعيدها البراقة غير ما حل بكم من الاسر والاكراه والذل والهوان ؟ ايّ مدارس علم ومعاهد فن ومعامل صناعة ومرافق تجارة قد شادهنّ لكم اولئك المتمدنون ؟ ما سمعنا بنابغة منكم نبغ في شيء من مستحدثات هذه المدنية مما يفاخر به اولئك المزوقون . نقرأ لهم اسماء رجال عظام علي صفحات التاريخ ثم نلتمس لاحدكم هنالك اسمًا فلا نجد الا آلات مسخرةً حمل عَلَي عاتق شقائها سعادة قوم ساخرين

ثم نرى اكبر بلد من المستعمرات لا يساوي اصغر قرية من غيرها هنالك في رفاه العيش والانتظام ، ولئن كان فانما هو خصيص بالقاطنين ثمة من حواشي الاحتلال خدام الانسانية ! ! وناشري لواء المدنية ! ! وفي مثل هذه المناظر تتجلّي للناظر روح العدل والمساواة ! ! بلهَ المناكر المكللة بالتشريع القانوني مما يفرق بين ابن البلد وابن الاحتلال دمغًا للحق وتسجيلاً لتعاسة البائسين . ان موجدي تلك المدنية يضنون بخيراتها عَلَي غير انفسهم اما شرر شرها فلا يبرح يتطاير الي الاخضر والهشيم وانهم علي تلك النار لموقدون . (ثم عفو الاوربي حتى اليهودي من العشر وغيره وتخصيصه بالمسلم جلوة عدل اخرى!!)

ان هذا رمز من رموز مدنية العصر ما زالت تلعب ادواره الابدي عَلَي مسارح التمويه والتزويق حتى كشف الستار وبرزت الحقائق للعيان ، فاستيقظت الافكار وانتبهت المشاعر واحست الامم والشعوب بسياسة الجنسية وتضحية الضعيف تحت اقدام القوي ، وكان ابطال طرابلس في مقدمة اولئك المستيقظين ، فتحفزوا مثل الضواري وانسابوا انسياب الافعى وخفقوا باجنحة البازي واعاروا الايام لفتة بصير تطيراً من آتٍ وعبرةً بغابر وما كان اسوء عاقبة الاولين ! الا ان في طرابلس ايديًا كريمة تليق بكل مصافحة ومصافاة ، فاين ذوو المروءة واصحاب النفوس العالية والغايات الشريفة والهمم الشماء ليسجل التاريخ لقارة افريقاء شرفًا خالداً وذكراً جميلاً ، ويمن الله عَلَي المؤمنين والمؤمنات ويهديهم صراطًا مستقيمًا . سلام عَلَي « تونس الفتاة » وعَلَي كل غيور يحييها باكاليل الزهور و يقدم بين يديها الواجب و بعدها بالمفاداة

سلام علي « الجزائري الطريد » وعلى يدٍ تشدُّ ازره وتزروزره ! تعينه علي الشقاء في سبيل امرٍ عظيم ، ثم التحية كل التحية لضجيع في دمشق تحقق روحه الطاهرة علي رفرف من نور تجيء من عالم الملكوت من يحيي مآثر حال دون اتمامها نكد الطالع : الاطيب الله ثرى الامير عبد القادر ذاك العبقري الفذ الكبير

يا سكان افريقاء: يا ضحايا الاهواء علي مذابح الجشع الممقوت ! ألم يأنِ لهاتيك الربوع الكريمة والارجاء الفسيحة ان يصفو جوُّها المكفهر وتنجلي سحائب افقها الذهبي عن شمس عزٍ تعيد من تالد مجدها ما قبرته صروف الدهر وهالت عليه التراب ايدي الجائرين ؟ ألم يأنِ لهاتيك الشعوب والقبائل ان تنظر نظرة المفكر ثم تنشط من عقال فتضرب يداً باخرى وتسير جنباً الى جنب مشرئبة الاعناق نحو الامام ، حتى اذا اصبحت في «مصاف» الامم الحية والشعوب الراقية وذاقت لذة الاستقلال بالارادة والاعتماد علي النفس ثأرت للقابل من الغابر وشادت طريفاً علي دعائم تليد ونادى منادي افريقاء : لتحي ارواح « العبادلة » ولتقر عيناً بما تجهم وارثوها الاكرمون . . !

نجد

يا قوم — واريد منكم سكان نجد وابنائه وابطاله وامرائه —

« وما عهد نجد عندنا بذميم »

ناشدتكم الله والرحم الا ما وصلتموها واتقوا الله الذي تسائلون به والارحام وانكم بما فوق ذلك لحقيقون . انكم من اشرف القوم جرثومة واكرمهم

ارومة واطيبهم محتداً وانجبهم مولداً ، الا فلتشبه فروعكم اصولكم وليلاحق طريفكم بتليدكم وليحفظ لكم التاريخ ما يرجوه لديكم كل عربي صميم

« اهل نجد ارعوا ذمام محب   حسب الحب روضة فرعاها »

خوضوا غمار الشعر العربي رحمكم الله ثم فتشوا قلوب الشعراء ثم قولوا ماذا تجدون : اي شاعر عربي رق غزله وحلا نسيبه وعلا فخره وطاب تشبيبه ولم يرصع تاج شعره بالمفاخر والمآثر والمحامد والمحاسن من ربوع سكنتموها وطلول عمرتموها ومفاوز قطعتموها ، يحنُّ اليها شوقا ويتحرق عشقا ويستنشق رياها ويستلمح بوارق محياها وينشد اشعارها ويروي اخبارها وربما لم يبصرها عياناً « والاذن تعشق قبل العين احيانا » فكان لسان حاله يقول :

« فاتني ان ارى الديار بعيني   فلعلي ارى الديار بسمعي »

اي شعر رقت مبانيه وراقت معانيه ودقت مغازيه وشاقت قوافيه وليس في فرائد قلائده ما التقطته يد الشوق والتوق من حصباء هاتيك الديار ؟ ان الشعر من كل امة مرآة احساساتها وقد عرفتم ما لنجدكم من المثل الشريفة في هاتيك المرآة ، فكيف احساساتكم انتم — ارشدكم الله — ازاء تلك الربوع الكريمة والمعاهد المحبوبة ذات الصيت الطائر والشأن الرفيع ؟

أترضون لهاتيك المغاني ان يرن في ارجائها صدى الاغاني اغاني الحماسة والفخر من غير اقيالكم الاماجد وابطالكم الاماثل ، فكأنكم اموات

وكأن الاغاريد مراثٍ ولكنها منعكسة عن قلب عدو ملئه جذل وسرور ؟ ان الزمان قد خبأ لكم في طيات غدره مثل هذه الخطوب وان ايدياً ظالمةً ما برحت تفوق سهامها نحو قلبكم الطاهر ، فهل انتم عالمون ؟ اجل : ان في قوس الدهر سهاماً مفوقةً نحو قلبكم الاقدس وشرفكم القومي وسياجكم الديني واوطانكم العزيزة ، فما هي — والعياذ بالله — الا رمية سهم نافذ يخترق اعماق القلب واذا انتم صرعى في حومة الكفاح ثم موتى في رمس مظلم لا تبعثره يد ولا يضيء فيه نور · اين مسقط ·· اين عمان ·· اين الكويت ·· ثم اين جزيرة اللؤلؤ ؟ (البحرين) واحرَّ قلباه : لعقد انتثر ومعقد واسطته عهد محمد بن عبد الله ذاك النبيّ العربي الكريم (في ذاك العهد الانور كان فتح البحرين) تبدّد نظامه وقد كان لؤلؤه رطباً لا عرف الثقب ولا دنسته يد لامس ··· لقد اجهزت سياسة المكر والغدر والخدعة والدسيسة عَلى كل هذه المعاهد والمعاقل ، وما اقرب الليالي من بعضهن وما اشبه حجر التلال بالوان صخرها ، فهل انتم معتبرون ؟

ان الشعراء تغار عَلى مغانيكم من نسيم الصبا ان يجوس خلال رياضها او يسرح طرة حياضها فيعكر صفواً ويبدد زهراً ، فكيف غيرتكم انتم عَلى تلك المغاني الفاتنة لاشرف القلوب ، الآخذة بارقّ المشاعر ؟ خلني من تشبيبك بمغاني نجد يا شاعر ومن نسيبك في ازهارها الزاهرة وحدائقها الغناء ،

انها لا حوج الى اشعار الحماسة عَلى صفحات السياسة قبل ان تنشب بها اظفار الحوادث وتكتسحها ايدي المطامع فتلحق بجاراتها وتصبح مأوى كل علج عنيف

يا ابناء نجد واقياله وشبانه وابطاله ! ان اشقي الانام من لم تنفعه عظة الايام وحسبكم ما القته فضايع الحرب الطرابلسية ومن ورائها مخازي التحالف البلقاني من دروس عبرٍ في مثلها بلاغ لمن القى السمع وهو شهيد ، فهل انتم فيما يتلى عليكم مفكرون ؟

العراق

يا قوم واريد منكم ابناء العراق مربض الاسود ، مرتع الغزلان ، ديباجة التاريخ ، ملعب القرون الاولى ، مسرح القرون الوسطى مهد حضاراتها المأثورة ومدفن مدنيتها المطمورة — فسلام عَلى تلك السهول والحزون ، سلام عليها والحديث شجون ، سلام علي ذاك الصعيد الطيب في مبدأه ومنتهاه سلام عليه وعَلى عظامٍ نخرةٍ خلال ذراته العظيمة الحقيرة ، الصغيرة الكبيرة ، ثم عَلى صوت شجيّ لهاتيك العظام تسمعه كل اذن واعية ولا يعقله الا المفكرون ، يدوي بنغمات مختلفةٍ ونوحات شتّى : اصغ ايها العراقيّ الى صعيد تسحب من فوقه ذيل اختيالك ، اصغ اليه تسمعه يقول :

« خفف الوطء ما اظن اديم الا ارض الا من هذه الاجساد »
« سر ان اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً عَلى رفات العباد »

« وقبيح بنا وان قدم العهـ . . . . . د هو ان الآباء والاجداد »

اصغ اليه ثانية تسمع نغمة اخرى ، تسمعه يقول :

ايا ابن الغد المأمول هل انت مخبري — اذاقاء صدر الغيب ما كان يكتم « ١ »
وحلَّ بهذا الجسم مني انحلاله — فحال ترابًا منه لحم واعظم
ولا تحتقر مني عظامًا رميمةً — فربَّ حقيرٍ لو عرفت معظم
لعل ترابًا دسته كان قبلها — فوأدًا يعي سر الحديث ويفهم
لعل ترابًا دسته كان قبلها — لسانًا بغير الحق لا يتكلم

اصغ اليه اخرى تسمع غير نوحة ، تسمعه يقول :

انما الايام فينا دولٌ — ما لحال من دوام وبقاء « ٢ »
فاسئل الدار التي تسكنها — كم حوت قبلك من اهل ثراء
واسئل السبل التي تسلكها — كم طوت قبلك من غادٍ وجائي
ربما دست ترابًا كان من — قبلها تاج ملوك عظماء
ربما دست ترابًا كان من — قبلها هام كماةٍ كبراء

كل اولئك الاصوات ايها العراقيّ الكريم تذكرك مجداً شاد الاسلاف بنيانه وقوّض الاخلاف اركانه ، تذكرك نفوساً كبيرة وقلوبًا طاهرة وهمماً عالية ، تذكرك عظمة الانسان وشرف التاريخ وجلالة الانسانية ، تذكرك الاعتماد على النفس والاحترام للرأي والتوخي لمواقع الصواب ، تذكرك

« ١ » من قصيدة « ستر الغيب ورجال الغد » للمؤلف نشرت في « الرأي العام » البيروتية

« ٢ » من قصيدة للمؤلف نشرتها الرأي العام وعنوانها « نداء من الفضاء »

الاستقلال بالارادة والاشتراك في العمل والحرية في القول ، تذكرك العلم وآياته والادب وبيناته والفنّ ومعجزاته ، تذكرك فضلاً وافضالا وحسناً واحسانا وحضارةً وعمرانا ، تذكرك كل ذلك ثم تهمس في اذنك : على مثل هذه القوائم شاد آباؤكم صروح مجدهم المؤثل وشرفهم الاقدس وفخارهم الاوحد ، فهل انتم على آثارهم مقتدون ؟

ان هذا لسوآلٌ تردده الطبيعة على لسان تلك الذرات المنحلة من اجساد اسلافك الاعاظم ايها الوطني الغيور ، فهل فكرت يومًا في الجواب فمشيت على قدم اولئك الغطارفة الاقيال لتستعيد من مجدهم الداثر ما عسى ان ينهض بك من هوّة الموت الى مستوى الحياة قبل ان تقوم قيامتك وتفيض نفسك بحسرة المحتضر في النفس الاخير ؟

« عليك حرام يا ابن دجلة ماؤهُ — اذا لم ترده صافيًا طيب الشربِ (*)

لقد علمت الطمع فيك ولاحت لك اعلامه ، فماذا اعددت لسد نوافذه وقمع عزوقه ؟ ان حياتك العلمية فالادبية ، الاجتماعية فالاقتصادية ، الادارية فالسياسية لا تكفي لذلك ، بل هذه الحياة هي التي ساقت اليك ذاك الموت . لقد جرَّبت حياتك هذه زهاء اربعة قرون ، خبرني ايَّ زهرةٍ جنيت من بين قتادها ؟ ام تجهل ان في تكرار التجربة ندامة ؟ ام تهوي نفسك ان تذهب اضحية التكرار على مذبح التجارب الممقوت ؟ ان جراثيم السياسة تدبُّ في عروق الامم دبيب الاجل نحو صاحبه ، فاين الطبيب الحاذق . . اين الممرض

(*) من قصيدة للمؤلف عنوانها « تحيات ام حسرات » نشرت في نينوى والمفيد

المشفق ؟ ام حتى المريض نفسه يجهل انه في مقدمة داء عضال ؟

هنيئاً لهاتيك البطاح ماء دجلة والفرات ، لو كان الساقي من ابنائهما . . !

طالما سقيت تلك الاودية والكثبان بالاحمر القاني من الدماء ، فليحرص منتجعوها ان لا تحدث الليالي ما يعكر صفو الماء . ما احلى سير السفائن — باسم الله مجراها ومرساها — لو وثقنا ان لا يفور التنور ، وعرفنا عَلَى ايّ جوديّ يكون يومئذٍ الاستواء ؟

ربَّ برقٍ خلب والدهر باهليه قلب . ما كانت ضفاف دجلة في غابرها اقلَّ بهجةً من شواطئ البوسفور في حاضره . كيف دالت الايام ونصل خضاب الليالي ، فاذا الديار بلقع واذا كل ماء سراب وكل ناعق غراب ؟

ان العراق مسرح لعبت عليه العصور ادواراً جديرة بالاعتبار : ان هنالك سحر بابل وبدايع آثور وعظمة كسرى ، ثم ان هنالك حضارة ابناء يعرب وجلالة آل هاشم وبدايع العصر الذهبيّ . ثم من وراء ذلك دماء سفكت وحرمات هتكت وجموع تفرقت وتيجان تمزقت — ووقايع الجنكيز واضرابها اشهر من ان تخط بيراع او تقرع بها الاسماع — وان لكل اولئك اشباحاً تترآى لهذا الشيخ الكبير فيهيب ببنيه ان يأخذوا لليالي حذرها ولا يأمنوا مكرها وان يظاهروا بين سابغتين ولا يفجعوا مرتين ، فهل انتم معاشر ابناء الشيخ لندائه منصتون ولامركم مجمعون ثم عَلَى حفظ كيانكم عاملون ؟ ام لم تزدكم العظة الا قسوة ولا العبرة الا غفلة وسائت عاقبة الغافلين . . !

يا قوم لفتةً الى انفسكم واخرى الى الهلال فاذا شبابكم القديمُ راجع بكل مزاياه

سوريـا

يا قوم — واريد منكم ابناء سوريا الجميلة ربيبةِ الاقوام الحية والامم الراقية ، عروس يومها الحاضر وامسها الدابر ، اكليلِ الممالك ودرّة التيجان معدنِ النبوّة ومقرّ الرسالات — لقد شعرتم بعظمة التاريخ فاخذتكم هزة الانتباه ، عرفتم انكم اموات فطفقتم تلتمسون الحياة ، غربلتكم الليالي فجهدتم ان تنخلوها . طوبى لكم ثم طوبى . ! كان «ص» يحب الفال ويكره الطيرة ، فلكم الفال الحسن ان شاء الله . لا ازجر لكم الطير ولكن ارجو ان يكون سانحاً . تفتحت بعض العيون ، فاوشك ان تستيقظ بقية الراقدين :

رأي المستيقظون مشاهد التاريخ الكئيبة وتذكارات الامم المنقرضة وكيف بنت امة بانقاض اخرى وهنّ في جوف الاعصار بين طيّ ونشر ، حتى اذا جالت خيول العرب في تلك الميادين فـاذا بكل هاتيك الجداول وقد التقت بعضها ثم غلب عليها التيار وتلاشت في بحر محيط : — لا فنيقي ولا روماني ولا فارسي ولا سرياني ولا قبطي ولا كلداني وانما هنالك عين وراء وباء — تيار عربي طالما جرف الامم وابتلع الاقوام بما خصه الله من مواهب الفطرة وحميد الشيم وكريم الخصال ممـا ترتاح اليه النفوس ويشرب به الطبع ويسكن اليه الروح الانساني كل السكون . . . رأي هذا

المستيقظون لاول نظرة ، ونظروا في انفسهم ثانية ، ثم نظروا الثالثة في ملامح العصر ومغامز الامم وتقلبات السياسة فاهابت بهم كل هذه النظرات الى التماس الحياة فطفقوا يأخذون اهبتهم ويشحذون اسنتهم شأن المبارز اذا نزل الى قرنه ، وهل هذه الحياة الابراز ؟

لك الله يا سوري ! اني ارجو ان يكون لك يوم مشهود . كن مثال الرقي وانموذج التقدم وروح النشاط وفاتحة الانتباه لاخيك العربي ، وبهذا تكون قد مهدت للهلال سماء صافية ومنازل عالية وافقاً زاهرا ، فاصبحت لاخيك العثماني عضداً قويا وساعداً مستداً وملجأ ومناصا وسابغة دلاصا . ويومئذٍ : يوم تلتحم العرب بسداها وتسطع انوار سناها ويتجلى هلال العثمانية بدر تمٍ في سماء علاها = يومئذٍ يستعيد الاسلام مجده ويبلغ الشرق رشده ويدور الفلك دورته الاولى ويثبت التاريخ قانون سيره في اعادة نفسه وتبرهن نواميس الطبيعة على رجوع الشيء الى اصله . وفي ذلك اليوم المشهود تتجلى حقيقة الدرو بر الحقيقة من فلسفة القائلين : بان العرب دعامة العثمانية وركن الاسلام وعماد الشرق بهم المبتدأ واليهم المنتهى ، ويتحقق تارةً اخرى قوله « ص » عن انس : العرب نور الله في الارض وفناؤهم ظلمة فاذا افنيت العرب اظلمت الارض وذهب النور » (كما في « راموز الاحاديث » لاحد افاضل اخواننا الاتراك عن الحاكم في

المستدرك) كما انا بمرآى من صدق قوله « ص » : اذا ذلت العرب ذل الاسلام (كما رواه ابو يعلي في مسنده عن جابر بن عبد الله في ج : ١ : من الجامع الصغير) والفخر يومئذٍ كل الفخر لمن اعدّ لذلك اليوم عدّته واخذ له اهبته ثم انجز له عدته وكان على انفلاق فجره وتبلج ضوء نهاره من العاملين وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والله لا يضيع اجر العاملين

الحجاز ، الحرمين الشريفين

يا قوم — واريد منكم سكان طيبة والحرم مهبط الوحي ومنبثق النور ، وان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً ، وان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ، كما في صحيح البخاري — اعزاء انتم على الله اذ اسكنكم بيته وجعلكم في جوار حبيبه خاتم الانبياء وافضل الرسل الكرام . ثم ربط بكم القلوب وحشر اليكم الاجساد وجعل افئدةً من الناس تهوى اليكم يأتونكم من كل فجّ عميق ، ليشهدوا منافع لهم — دنيويةً واخرويةً كما قال المفسرون — ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . فاشكروا آلاء الله عليكم بمثلها : بخدمة بيته المحرم ووفده الوامق الودود اذ يأتونكم رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتونكم شعثاً غبرا كأنهم موتى نشروا من طي الاكفان وظلمة الاجداث

يا سدنة البيت كيف اكرامكم للزائرين ؟ ان الله موفيهم اجورهم بان لهم

الجنة ، يهب مسيئهم لمحسنهم والتبعات بعوض عنها من عنده . ولكن لهم عليكم حق الضيف عَلَى خدام المنزل ، فهل انتم موفوهم نصيبهم من ذلك ؟

ان ثلاثمائة وخمسين مليونا من نخبة البشر يولون وجوههم شطر مسجدكم في كل يوم وليلة خمس مرات وان جل اماينهم ان يمرغوا الوجوه و يعفروا الجباه بذاك الصعيد الطيب ، فربما استطاع احدهم السبيل الى حرمكم الاقدس هجر الاوطان والخلان والولد والعيال وسعي اليكم محرماً واحرم لديكم ملبياً ومجد البيت وربه وعرف لكم حق الجوار فاحسن اليكم ما استطاع وكرمكم تكريماً ، فكيف اكرامكم انتم لهذا الزائر الشيق والودود المخلص والضيف الكريم ؟ . . . . لقد تنكر الدهر لهذا الزائر حتى امسى ووراءه هول وامامه ظلمة وليس له من يأخذ بيده يقيه شر الليالي ويهديه سواء السبيل : انه حائر في دنياه ، مغلوب عَلَى امره ، متخبط فى ديجور حياته ، وعَلَى ناركم — بل نوركم — وجد هداه من قبل ، فماذا عليكم لو شفعتموها باخرى فآنس لديكم رشده وكنت الاولين الآخرين ؟ ان زائركم غافل فنبهوه ، جاهل فعلموه ، حائر فارشدوه .

لقد وصف الله المؤمنين بالاخاء قولاً — انما المؤمنون اخوة — وعقده بينهم رسوله فعلاً (حديث الاخاء مشهور) ثم فرض الله عَلَى هولاء الاخوة ان يجتمعوا في العام مرة وجعل مجتمعهم بيته الحرام اليه يحجون وسبيله ينهجون ونحوه من كل حدب ينسلون ، ثم شرط لقبول حجهم هذا موقفاً هنالك عاماً يمثل بمجوعهم تمثيل الكل لاجزائه و يضمهم ضم الاسلاك لآلئها

ودعاه « عرفة » — من مادة التعارف — وجعله كرسيّ مناجاته ومعكس انوار تجلياته ، ثم اقام فيهم امير سياستهم — جلالة امير المؤمنين — او من ينوب عنه خطيباً في هذا المجتمع العام ، يعيرونه اذناً صغواء و يرمقونه من فوق منبره العالى بطرف خفيّ وابصارهم شاخصة الى السماء ، ثم جعل يومهم هذا عيداً لهم من اكبر الاعياد وتذكاراً لليوم الذي بشرهم فيه باكمال دينهم لهم واتمام نعمته عليهم فقال في كتابه المجيد : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً

أفكل هذه المغامز — ارشدكم الله — خلوٌ من حكمة ارادها فينا المولى الحكيم الخبير ؟ كلا ثم كلا ! ان الله يقول في كتابه العزيز : لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، والتقوى في اللغة الحذر ، وهل يكون الحذر الا من الشرور ؟ ثم ان الشر منه الدنويّ ومنه الاخروي ، وليست الدنيا الا مزرعة الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ، ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً . ومن فكر في قوله تعالى : ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم (اي سنن حجكم) فاذكروا الله كذكركم آبائكم او اشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق (اي نصيب) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . من فكر في مغامز هذه الآيات الكريمة واسباب نزولها : —

اذ كانت قريش تقف في مزدلفة دون عرفة فامروا ان يفيضوا من حيث افاض الناس فينضموا الى المجموع ولا يتخلل ذاك المرأى البديع من جمع الشمل ولو بعض الشتات . وكان اهل الجاهلية يقفون في الموسم فيذكر الرجل منهم مفاخر آبائه ، ثم لم يتناولهم نهي عن مثل ذلك في معرض التمثيل من قوله فاذكروا الله كذكركم آبائكم . وكان قوم من الاعراب يجيئون الى الموقف فيقولون : اللهم اجعل لي عام غيث وعام خصب وعام ولاء ، ويجيء بعدهم آخرون فيقولون : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، فجعل الله لهولاء نصيباً مما كسبوا والله سريع الحساب = من فكر في كل هذه المغامز وما ورائها عرف ان لله في حج بيته حكمًا عالية تهيب بالمسلمين الى واجبات حيوية تمهد لهم سبل السعادة في الدارين — وكذلك يؤتيهم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة — ولكنهم عن تلك الحكم غافلون ثم غافلون .

الا ان دينًا لا تعضده القوة فلا يكونن في مأمن من عدو يتربص به الدوائر ، وان فيما يعاني بعض المسلمين من العقبات في سبيل حج بيت الله نفسه لخبر صدق من ذلك وشاهد عيان ، ثم ليست القوة الا بنت الاتحاد والتعاون والتواد والتعاطف وليست الشوكة الا بعض احفاد هذه الجلال

فيا جيران البيت -- بيت الله الحرام — هل اهبتم يومًا بزائر به الى مثل هذه الحقائق العالية وجلوتموها على منصة البيان وكشفتم لها ستار العمل ، فادّيتم بذلك حق الضيف على خدام المنزل وقضيتم واجبًا مقدسًا لله ولرسوله والمؤمنين ؟ الا ما احوجنا الى اليقظة فانا راقدون .. الا ما احوجنا الى

العظة فانا غافلون .. الا ما احوجنا الى الرشد فانا حائرون . !

من لعقد وهي بسمط جديد ... يتحلى بدره كل جيد (*)

يا رجالاً قلوبهم من حديد ... قوموا ظهرها برأي سديد

وامنحوها ملابساً سندسية

وسحاب قد طبق الآفاقا ... نخشينا على الهلال المحاقا

يا هلالاً نرجو له اشراقا ... دم على هامة العلى خفاقا

وادرع صبر حازم للرزية

لا تطأطأ رأساً لرنة سيف ... انما هذه سحابة صيف

لهف ام العلى ويا الف حيف ... هل دري الركب في منى والخيف

بالذي نال الملة الاحمدية

يا اهيل الحجاز غير مجاز ... ان تضحي حقيقة لمجاز

ولانتم مصادر الاعجاز ... يوم رد الصدور والاعجاز

اذ بدت من حمائم المدنية

خبر الدين انتمو مبتداه ... واليكم مصيره وانتهاه

وبكم عزه وفيكم علاه ... مثلما ضاء من حمائم سناه

فاعيدوا انواره المسجدية

ان نوراً من الحجاز استطارا ... امطرتنا به المدافع نارا

(*) من موشح للمؤلف في الحرب البلقانية نشرته بعض الصحف العراقية

قبس القوم من سناه شرارا وتواصوا ليطفؤه جهارا
افيرضى الحجاز هذي الوصية

اليمن

يا قوم — واريد منكم تذكرة التيجان من عهد التبابعة وذاك الصرح الممرد — انكم لعريقون في مجد تالد وغابر وضيء وانتم « ارق افئدة والين قلوباً والايمان يمانٍ والحكمة يمانية » — كما في صحيح البخاري — افلا ترق تلك الافئدة وتلين هاتيك القلوب لحكمةٍ طال قتلها ظلماً وايمانٍ يطفئ نوره الظالمون ؟

ليس الشر عنكم ببعيد، ولكنها خطوات لهن عند الساسة اجل مسمى تلك ربوع «حضرموت» وضواحي « عدن » وغيرهما من الجزيرة وطئتهن الاقدام في خطاها وما نرى للبقية من ضمان ان ينتهي السير او ان لا يكون حثيثاً : ان انحلال الطبيعة نتيجة ارتباكات عضوية الف بين مقدماتها غفلة الاساة ومر الايام ، وهكذا يفقد الجسد حياته وتحق عليه كلمة الموت

كم من قرية كانت مطمئنة يأتيها عيشها رغداً حتى اذا نامت عن مخبآت الليالي فاذا هي صرعى بين رعدة الوجل وحسرة المعتر ! ما اهلك القرى الا سياسة الانفراد ، فتخضدت الشجرة فنناً بعد آخر . لو قام

المراكشي بواجب الجزائري لما وقع في بئره بعد نصف قرن ، وهكذا التفت الحبالة في عنق افريقاء قوماً بعد آخرين وما لكم عليهم من فضل — لا اعاد عليكم الكرة — وان في ذلك لآياتٍ للعالمين

يجب ان يعترف لكم كل مؤمن ان بين جوانحكم افئدة مملوءة بالحكمة وقلوباً مشحونة بالايمان ، لهذا يجدر بكل مؤمن ان يعلق عليكم امالا ويتطلب لديكم اعمالا ، فعلى اي نهج انتم سائرون ؟ ان للعربي حسرة البائس وللمحمدي صرخة المستغيث وللعثماني انة الموجع وقد امتزجت الاصداء بعضها حتى ملأ الفضاء منها دوي عظيم وانكم دعامة من دعائم القوم ، فماذا عسى ان يكون مبلغ صوتكم اذا ما امتزج بهذه الاصوات على ما لكم من المنزلة العالية والشأن الكبير ؟ وبعد هذا وذاك فاني اذكركم بما كتب به الشريف قتادة الى ابن عمه منذ قرون ثم اجعل ذلك خاتمة الحديث ، الا رحم الله الشريف اذ يقول :

« بني عمنا من آل موسى وجعفر وآل حسين كيف صبركمو عنا »
« بني عمنا انا كاغصان دوحة فلا تتركونا نجتني غصناً غصنا »
« اذا ما اخ خلي اخاه لآ كل بدا باخيه الاكل ثم به ثني »

فريسـة الدب

يا قوم — واريد منكم فريسة دبّ الشمال ثلاثين مليوناً من اخواننا الاتراك ومسا جلي نوحاتهم في رباق الاسر — انقذكم الله من هذه الحبالة وجعل لكم من كل ضيق مخرجاً · انكم لصابرون على امرٍ امرَّ من الصبر : انكم لثالث « الاذلين » ولو فكرتم في انفسكم وتحفزتم للحياة لكنتم ثالث القمرين · حتى م هذا الصبر ومتى تنهض بكم الهمم الى التمتع بحق مشروع منعتكموه ايدي الجور والاستبداد من حيث منحتكموه نواميس الطبيعة وقوانين الانسانية ؟ انما ميزة الانسان عَلَى بقية الحيوان بفضيـلة العلم الخصيصة بماهيته العالية ، فما لكم من هذه الفضيلة تحرمون ؟ خبروني عن مدارسكم العالية وكتاتيبكم الابتدائية : كم عبثت بها ايدي الرقباء وداستها اقدام الشرطة والدرك فسدّت الابواب واغلقت في وجه الطلاب وقبض عَلَى هذا واهين ذاك وليس هنالك من باعث سوى ان يضرب بينكم و بين النور حجاب لتسوغ اللقمة من لحومكم في احشاء الظلام ! ! سكتم عن حقوق لكم سياسية نختم عَلَى افواهكم عن مثل هذه الحقوق الطبيعية : تريدون العلم ويسومكم القوم جهلاً · أهذا عدلك يا قيصر ؟ وانت ايها التمدن الاوربيّ نصير العلم ! ! وظهير الانسانية ! أبمثل هذا يقضي قانونك

النوري ؟ الا فلتشهد الكائنات ان صحائف ذاك القانون سوداء !

سلام الله عَلَى جمعية « باكو » وليس السلام على اصوات ترنُّ في المجتمع النيابيّ : الا ان رجال « الدوما » ليشايعون باطلاً و يناهضون حقاً · ليتربص الفريقان الا بد للعدل الالهيّ من نور يسطع فيمزق ستار كل ظلام اليم موقفكم يا قوم ثم اليم : حتى الى الهجرة لا تجدون سبيلاً · ان عدل « الدوما » اضيق نطاقاً من ان يسمح بالموت لرواده وهو الذي يعتهم على التماسه في سبيل الحياة : الا ان الهجرة لا تقلّ مرارةً عن حشرجة الموت فلولا ان القوم باشد من هذا مبتلون لما التمسوا اليه السبيل ثم توضع لهم العقبات وهم في كل حجر يتعثرون · · ثابروا رحمكم الله على شحذ الاذهان وتثقيف العقول وتهذيب الناشئة والبسوا من حلية العلم ثوباً جديداً وادّرعوا من فنون العصر بكل سابغة ثم كلوا الامر الى من لا يعجزه امر واعتصموا من دين الله بحبل متين ·

لقمة الحوت

يا قوم — واريد منكم لقمة الحوت حوت البحار ثم اخص منكم ورثة ابي البشر في مهبطه ، ونذكار المدنيات المتحجرة خلال جبروت الاهرام — هبوا انكم ثمرة شهية اقتطفها جائع ، كيف نضجت هذه الثمرة ولم تسقَ

ماء بارداً ولا لفحها حر المصيف ؟ اما وابيكم مـا كنتم الا غنيمةً باردة ولقمةً سائغة ما لبثت ان لاكتها الاشداق وازدردها بلعوم الجشع من غير مضغ ثم قيل هنيئاً مريئاً الآكلين !

تدافع الطير عن وكرها والحية عن جحرها لا يألوان جهداً في الذب دونهما ، ثم ها انتم هولاء حماكم مستباح واوطانكم لغير سكانها يتقلب منها الاباعد عَلَى ارائك العز وسرر الجلال وفرش النعيم وانتم في دياركم غرباء وعَلَى امركم في عقر داركم مغلوبون . . يا ويلتا ! أعجزتم ان تكونوا مثل الطير تحمى وكنها وتذب عن فراخها وما سلاحها غير مخلب او منقار ؟ لا اضعف من نملة ، وعَلَى ضعفها لم تغفل سنة تنازع البقاء . . يا ويلتا ! أعجزتم ان تكونوا مثل النمل فتنتبهوا لسنن الكون وتعرفوا لتنازع البقاء حقاً لا يطيب عيش دونه ولا تلذ حياة ؟

كم كان لك من الفدنات يا ابن النيل ، وكم بقى منها في يدك اليوم ؟ هل حاسبت نفسك يوماً ثم فكرت في عقباك ؟ الا قاتل الله السياسة البراقة ، ما اشبهها بحكة الاجرب : تعذب للمبتلي وما عذوبتها غير عذاب

حنانيك يا ابن النيل ، يا ضجيع مهد الاهرام ! ما هي فطرتك وماذا عسى ان تكون صبغتك ؟ عربي انت ولكن ملء صحائفك العجمة ، محمدي انت ولكن شرعتك لمنابع اخرى ؛ عثماني انت ولكن هنالك بدٌ تعمل عَلَى محاق الهلال . الا قاتل الله السياسة الخلابة ولا رحم الله الاحتلال

ويح ابن ام « الورداني » لو كان له من ينصره ! سلام عَلَى تلك الروح

الطاهرة روح الوطنية والثبات . سقت شآبيب الرحمة ثرى « مصطفى كامل » وحيت فاحيت تلك العظام الرميمة العظيمة ! الا ان شعباً لا يحكم نفسه بنفسه لحرىٌ ان لا يعد في الاحياء ، ولتنع البطولة كل حر غيور

وانتم يا علماء الهند وزعمائها واغنيائها وكبرائها ، يا ورثة ابي البشر في مهبطه الانيق ! ان وراء حياتكم هذه صفحات اخرى للحياة ما ادرى لماذا انتم عنها متقاعسون وانتم احق بها واهلها ان كنتم فاعلين . يترنم الهزار ويصفق بجناحيه طرباً ما دام مطلق العنان عَلَى منابر الافنان ، حتى اذا غلب عَلَى امره ووقع في قفص الاسر انقلب ترنمه نواحاً وتصفيقه تخبطاً واضطراباً مهما خدمته الايدي وغازله الروض وحفت به الازهار : انه يعشق الورد ولكنه يأبى وصله عَلَى يد الرقيب ، انه خلق حراً ولا يريد الا ان يعيش حراً كذلك . . يا ويلتا ! أعجزتم ان تكونوا مثل الهزاز فلا تسمع لكم انشودة ولا يعرف لكم تغريد الا ما اتقد من جمر الحماسة واستطار من شظايا الغزل في حبيب ضرب بينكم وبينه حجاب ولا تلذ الحياة من دونه فترتلون فيه الاهازيج وتعملون له الاعمال تشوقاً الى لقاه وتحرقاً من شحط نواه : آهاً للاستقلال المغصوب في الوطن المحبوب . !

يا نسائم هاتيك الربوع لقد ظلمك بنوها يتنشقون رياك وفي نكهتك تعفن من انفاس الغرباء وما هولاء من اولئك الا قليل من كثير ، الله اكبر : نملة تقود جملا وواد يعلو جبلا ! ايه يا برهمي أيرضى لك هذا شجرك المقدس ؟ ويا مسلم أبهذا يأمرك قرآنك العظيم ؟ ثم إنها الملايين الوافرة من

هاتيك الشعوب أبمثل هذا تقضي عزة النفس وهي اشرف غريزة في اعماق القلب البشري و بين طيات الجوانح ؟ اني لارجو ان تثور المشاعر يوماً وهناك الشأن الكبير والنبأ العظيم . يوم تتحرر هاتيك الشعوب فيا هناء الانسانية في ربوع الشرق الكئيب . ولماذا لا تتحرر ؟ ان هناك مأتين وستين مليوناً أفلا تزن دو بلات في الغرب يعشن احراراً ولا تتجاوز نفوسهن عد الالوف ؟ ايه يا هندي يا رضيع الشمس وشقيق البدر ! ان تاجاً مرصعاً تلوي عنقك امامه انك لاكبر لؤلؤة فيه ، ولكن هل عرف لك مقداراً ؟ يزعم انه اعرق التيجان في تحرير الشعوب وتعزيز الانسانية وحفظ حقوقها المقدسة ، فلماذا لم تشملك هذه الالطاف ؟ ام يرى منزلتك دون هذا الواجب ؟ ام انت الذي جعلت نفسك حيث يراك ؟ لماذا كنت اهلاً لان تدر القناطير المقنطرة من الذهب الاحمر والفضة البيضاء ولم تك اهلاً لان تعرف لك حقوقك الطبيعية ؟ هل لك من يمثلك في المجلس النيابي بين ظهرانيّ من يسعدون بشقائك ، يشربون الحميا من عرق محياك ؟ ام انت عبد التسخير فموتك لنفسك ، ولاجل غيرك محياك ؟ فتش اطرافك وفكر في نفسك يا ابن الهند يا ابن ذاك الصعيد الزاهر ثم اختر لها حياة هنيئة او موتاً شريفاً .

فارس

يا قوم — واريد منكم ابناء فارس — الم يأنِ للثورات ان تخمد نارها

وللقلوب ان تبوخ احقادها بل للنفوس الغاربة ان تثب احلامها ؟ حسبكم الاغراق في الفصد فقد نزفت الدماء ، ام تبتغون الضربة القاضية لتستنزفوا آخر قطرة في تجويف الفؤاد فاذا وطنكم بين ايديكم جثة هامدة ؟ ها انه خافت القلب ، مسترخي الاطراف ، يعالج نفسه في النفس الاخير فرفقاً بالمحتضر واتقوا الله في هذا الشيخ الكبير . الى متى يأكل بعضكم بعضاً حتى اصبح كلكم طعمة عداة متربصين ؟ ما هذه القسوة وانتم ابناء وطن واحد ، اتباع دين واحد ، اشياع مذهب واحد ؟ رحم الله شاعركم حيث يقول :

بنى آدم اعضاى يكديكرند   كه در آفرينش زيك جوهرند
چو عضوى بدرد آورد روزگار   دكر عضوها را نماند قرار

فلو لا مشيتم على قدم هذا الاجتماعي الكبير فكان لكم خير قدوة وكانت لكم به احسن اسوة ؟ ام لذّ لكم ان يشرب الاخ دم اخيه وهما فرعا شجرة واحدة ؟ لقد اصطاد العدوّ في الماء العكر فمتى تصفو الموارد ؟ هبت زعازعه من جنوب وشمال فاذا انتم لقمة حوت فاغر وفريسة دبّ كبير .

قسماً بقبة « طوس » ومشهدها العظيم : ما كانت لتعلوها القذائف لولا ان مهد تم اليها السبيل . قسماً بارواح الشهداء بين الخشب المثلثات في احياء تبريز : ما كانت لتهتك حرمتها يد اثيمة في الشهر الحرام

لولا ان وجدت لديكم تحلة : قسماً بعظمة الاستقلال بين جبهة الاسد وقرن الشمس ما كانت لتعبث به يد لامس لولا دعوة منكم الى الاشتراك . الا انكم لمظلومون ولكنكم انفسكم الظالمون .

لهف « الاسد » ومخالبه على شمس استقلالكم وانوارها ، لهف « الشمس » واشعتها الذهبية على اسد شوكتكم واظفاره ! الله اكبر كيف تقلمت هذه الاظفار وطمس على تلك الانوار ، الله اكبر عشرون مليوناً من صميم الامم يضحي استقلالهم على مذابح الاهواء وهم تحت اقدام هاتيك الهياكل مستميتون ! بصركم الله يا قوم ! تموتون عن حياة وقوة بينما الامم تحيا عن ضعف وموت ، فاين عواطفكم الثائرة واحساساتكم السامية وتعطرسكم القومي وتصلبكم الديني ثم اين عظمة آبائكم الاولين ؟ وفي هذا بلاغ — وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق — وانما انتم دعامة من دعائم الشرق وركن من الجامعة الاسلامية ركين .

الافغان

يا قوم — واريد منكم ابناء كابل واسود هاتيك الغابات — قلبوا الطرف في هذا المجتمع العام ثم قولوا ماذا ترون على قسمات هذه الوجوه . اطلوا من غاباتكم المنيعة على اولئك البائسين من مواطنيكم الشرقيين واخوانكم

المسلمين واقرؤا من خطوط اسرتهم سطور مواعظ وعبر ثم تحفزوا للحياة ان كنتم تعقلون . ها انتم تتصفحون الوجوه ، هل ترون خداً ليس فيه لطمة من يد اثيمة او وخزة تحت الجلد او جراحات دامية لم تمكن بعد من ضمدها الطغاة ؟ كذلك اليد الغربية (وبالاحرى الاوروبية) سوداء ظالمة ، مخلب عقاب او ناب عقور ، تنهش من هذا وتضرب ذاك ، عاثت في الشرق فساداً وسامت ابنائه سوء العذاب وفي مقدمة هولاء المنكودين اخوانكم المسلمون .

تكسرت تلك العيدان وحداناً ولو كانت مجتمعة لاعيا كسرها اعداء الانسانية اولئك المردة الطغام . ما كان اكثر الغطارفة بين لابتي الشرق ولاسيما الاقيال من اهل الدين الحنيف انصار محمد واعوان القرآن ، حتى اذا ما قست القلوب وقطعت الرحم وتفككت العرى فقد انتهز العدو فرصته ووجد ضالته فثل عروشاً وزلزل دعائم ثم قضى على تيجان ربما لطخها بدماء الابرياء .

يا عطارد كابل لست اسومك الا نظرة الى الهلال ، ثم اخرى الى الكواكب المنتثرة من حوله وهنالك ادع الحكم لضميرك : ايجدر بالعالم الاسلامي ان تظل سمائه الصافية هكذا متلبدة بالغيوم وكواكبها منتثرة واحداً تلو آخر ؟ ام متى ينتبه الموحدون لهذه الكوارث فيأخذ كل اخ

يد اخيه والله في عون كليهما قبل ان تستئصل شافتهم ويجرفهم السيل من كل جانب فاذا هم اشلاء طافية وغثاء احوى .

ان في الديكة نفوراً وما يحملها على ذلك الا مشاهد اخوانها القاسية بين القدر والسكين ، فسبحان الله أليس الانسان اولى بالاعتبار من بقية الحيوان ؟

سلام على عطارد كابل ، وشكراً لتحفز اسود هاتيك الغابات غيرةً على الهلال — ثم عبرةً بماض وتطيراً من آت — وانما تضمها سماء واحدة والله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور .

الامة النجيبة العثمانية

يا قوم — واريد منكم ابناء الهلال ، لا اخص عنصراً دون آخر ولا مذهباً دون سواه — انما مثلكم في معترك الحياة كمثل الاعرابي اذ فقد جمله ، وقد ارخى الليل سدوله ، فاخذ يتخبط في احشاء الظلام حتى اذا طلع البدر والقى اشعته على الهول والبطاح فاهتدى بنور سناه ووجد ضالته . هنالك اهابت به الحقيقة ان يعرف للبدر مقداره فطفق يثني عليه الثناء الجم ويدعو له بخير الدعاء ويكرمه تكريماً ويقدسه تقديساً : كذلك مثلكم ومثل الهلال في معارك الحياة لا تهتدون الا بنور سناه . انتم في ليل حالك لو لا ان اشعة هذا الهلال متغلغلة في طيات الظلام . امامكم هوة بعيدة الغور ومن ورائكم

هول شديد لو لا انكم على ضوءه سائرون وبه مستظلون ، يوم تتقلص افياء هذا العلم فلا ظل يومئذٍ للحياة ممدود

ان امماً شاسعة وقوماً وفراً يلحظون هذا الهلال من طرف خفيّ وربما امتوا اليه بسبب يودون لو اصابوا من ينبوعه عللاً ، فكيف انتم واياه معاشر ابنائه الشوس الكماة وهو على رأسكم خافق ولاشلائكم مكتنف وبعزتكم قائم ، مثال شرفكم القومي وسيركم الاجتماعي وعزكم السيامي ، بل مرآة الاجتلاء لامسكم الدابر ويومكم الحاضر وغدكم المأمول ؟ جملوا انضوائكم تحت هذا اللواء بالمفاداة فانما حياتكم بين طياته الارجوانية ، تفانوا في سبيل اعلاء شأنه فانما بقية الشرف هناك ، وان لكم لعبرةً في ايام خاليات وعروش خاويات . لا ارجع بكم الى عهد بعيد : حسبي وحسبكم مجازر « مقدونيا » ومذابح « تراقيا » ومصير ابناء غسان (الالبانيون) وبقية مخازي البلقان اذ تطاحن الحلفاء وهم ابناء صليب واحد ، ثم احيل المسلم على « الكتاب الاحمر » والمسيحي على « الكتاب الاخضر » ثم اذكرهما بالبعثة المتحدة الروحانية اذ تطوف في عواصم اوروبا تريد الهلال وتحنّ الى نوره الضئيل ، وهناك اسئل ابناء ذلك العلم عن فضله وحنانه وعن ظله النوري وفيضه العميم ثم اسومهم قياساً صحيحاً وعزماً متيناً

يا ابناء الهلال انتم ثريا هذا الثرى وكل الصيد في جوف الفرى : ما كان اكثر دعائم الشرق حتى انقضت شيئاً فشيئاً . وانتم دعامته الكبرى ودولته المعدودة في مصاف الدول العظمى ، فهل يسركم ان يختلط الحابل بالنابل

ويلحق الطارف بالتالد فتطوّح بكم الايام و يندمج هذا الخاص في ضمن ذاك العام ؟ الا انكم انفسكم عَلَى وشك الموت بينما يتطلب غيركم لديكم الحياة ، الا ان الشرق لميت ولكن لديكم يلتمس بعثاً ونشوراً فماذا انتم فائلون ؟ ثم لا يحمل هذه الامانة الا النشء الجديد ، ذلك : بان مرايا الآمال طلايع الاستقبال وليس رجال الغد الا اطفال اليوم ، فليت شعري هل قدرنا هذه الفكرة حق قدرها عسى ان نبديْ ونعيد و بذلك نقضي واجباً مقدساً ام لا نزال في حياة مشوشة وتخبط مستمر من ورائها شقاء فادح وموت ابدي ؟

الى النشءْ الجديد رفعت صوتي   لعلى اسمع النشءَ الجديدا (*)

بلام عذاركم لا تتركوها   ولام الذل يكسوها برودا

بنور جباهكم لا تتركوها   وقد صبغ الظلام لها صعيدا

بحقِ شبابكم لا تتركوها   وقد قدَّ المشيب لها قدودا

بأن الشرق من حمل ثقيل   اخفُ عليه لو حمل الحديدا

لقد لعبت به الايام حتى   حسبناها بما عبثت وليدا

وسامته الليالي الخسف حتى   تركنَ بنيه احراراً عبيدا

فاقدام وطئنَ له جباهاً   وايدٍ قد لطمن له خدودا

عققنا منه شيخاً ربَّ فضل   وافضال وقد خنا العهودا

فها قد طبق الدنيا صراخاً   باصوات له تحكي الرعودا

(*) من قصيدة « الى النشء الجديد » او « تحريك العواطف » للمؤلف القاها عقيب خطاب ارتجله في حفلة « دار العلوم » في بيروت ونشرت كليهما جريدة الرأي العام

عليكم علق الآمال شتى   يرجي ان تسودوا كي يسودا

فبثوا الروح منه في عروق   على جهل ملئناها جمودا

يا ابناء الهلال ان للامم سيراً سياسياً وآخر اجتماعيا وهما للامة مثل الروح والجسد لقوام الحياة ، فهل فكرتم في سيركم من كلتا الوجهتين لعلكم تهتدون ؟ ام حسبتم ان حياة الامة ان تعيش تحت وصاية ساستها حملاً عَلَى العاتق او عثرة تحت الاقدام ؟ الا ان مجموعاً حمل عَلَى جزئه لا يلبث ان ينوء به فاذا مصيره الى السقوط : كذلك مثل الامة اذا ما التمست الحياة من الوجهة السياسية فقط واغفلت مركزها الاجتماعي ، فانها لا تلبث ان تصبح جثة هامدة من غير روح . الجزئي لا يمكن ان يكون مرآة للاحظة الكلي ' فمن الخطل في الرأي ان تعول الامة عَلَى بعض افرادها . لسنا في عهد ارستوقراطي ' وانما نحن في ظل حكومة ديموقراطية ' فيجب عَلَى الامة ان تؤهل نفسها لذلك ، ولن تقوم بهذا الواجب حتى تستكمل تربيتها الاجتماعية . ان الفم لا يحلو بتكرار كلمة الشهد حتى يذوقه بطرف اللسان ، ومن جهل حقيقة ثم خاض غمراتها فلا يأمن ان تعود عليه بالخسران ... هبَّ المفكرون من ابناء هذه الامة فاهابوا بها الى حياة ديموقراطية تؤذن بآمال ذهبية وعيش نوري ، ولكن ماذا عسى ان يعمل الحسام في يد شلاء ؟ انا لم نحسن التصرف فيما خوّلنا المفكرون ' بل هناك كنز اودع غير يد رشيد ، وهيهات ان تبلغ رشدها امة فقدت من التربية الاجتماعية عاملاً كبيراً . نتخبط في دياجر جهلنا حتى اذا ما انتهت بنا حركة المذبوح

الي هوة سحيقة رفعنا عقيرتنا نتذمر من اولياء الامور ، وما هم من قوم آخرين ، بل بعضنا من بعض ربينا في حجر واحد ورضعنا ثدياً واحدا وكذلك « عمال الامة اعمالها »

« وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد »

فلو كنا ذوى فكر مستنير وارادة قوية وعزم متين لاصبحنا بين هادٍ ومهدي يحمل بعضنا بعضاً عَلَى الصراط المستقيم ولاصبنا هنالك خيراً كثيرا ، ولكن هي جناية انفسنا عَلَى انفسنا : اذ نحس بالالم ثم لا نفحص مكامن الداء وانما نطيل الانين عَلَى غير جدوى . ماذا عسى ان تفعل الساسة اذا ما ربيت الامة عَلَى غير مراس ؟ فالى التربية الاجتماعية يا قوم ، الى التربية الاجتماعية ، ان تمام العمل هناك .!

الحياة هي القوة وقوة الامة باتحادها وتعاون افرادها لان الامر الكبير يتطلب عملاً كبيراً والتربية الفردية لا تكفي لهذا ، بل لا بد هناك من تبادل القوي بين المجموع ثم ان مبدأ النجاح تبادل الثقة ، وان امة جهلت واجباتها الاجتماعية لحرية ان لا تثق بنفسها ، فتسود الفوضى في الاخلاق وترتبك حركة المحور بين الامة وحكومتها ومجموع الامة وافرادها ، فلا الامة حينئذ بامة ولا الحكومة بحكومة وهناك الضربة القاضية والشقاء المستمر . وهل تذبذبنا في « التشبثات الشخصية » وتقهقرنا عن المشاريع الكبيرة — مما هوى بنا الى دركات الموت — الا نتيجة فقدان مثل هذه الخلال ؟

فالى التربية الاجتماعيه يا قوم ان تمام العمل هناك .!

ما اخالني مغالياً اذا قلت : ان السعادة العائلية لم يشرق نورها عندنا عَلَى اكثر البيوتات ، بل ثمة سقوف تظل آراء متباينة فقلوباً متخالفة فاشباحاً لا تحسن تأليف البين ، فحرمت تلك السعادةَ وعاشت هكذا غير قريرة العين ، فما بالك بامة لم تهتدِ بعدُ حتى الى السعادة العائلية ، أيرجى لها ان تستنير بانوار السعادة الملية وهي متخبطة بعدُ في طيات ذاك الظلام ؟

لقد تغلغلت فى خلايا الادمغة جراثيم غدرت بالامة فغادرتها في عداد الزمنى ، ولن يرجى من شفاء لهذا الدنف المضني حتى تستئصل تلك الجراثيم من جذورها : ما اباد الامم وثل العروش مثل الاستئثار ، انه لمدعاة كل ويل ودليل كل خراب . ثم من وراء هذا التقاليد العمياء ، انها تختم عَلَى القلوب وتضرب عَلَى الآذان وتغشى عَلَى الابصار ثم هكذا تخرج الانسان عن صفته انسانا

اذا كنت في كل الامور مقلداً لماذا ترى اعطاك خالقك الفكرا ؟ (*)
ادين بما اوحى الآله وما قضى به العقل مما لم يكن امره إمرا
ومـا سنت الاهواء عندي بدعةٌ وما وضع الجهال اعرفه نكرا

ان هاتين الجرثومتين شرُّ ما ابتليت به هذه الامة البائسة ، وما اخا لها الا تردان عَلَى حوض واحد : الجهل : لو علم المستأثر — حق العلم — ان الخاص يتضمنه العام ولكن العام لا يدخل في ضمن الخاص ، ثم لو شعر المقلد ان ميزة الانسان عَلَى بقية الحيوان بهاتيك الشعلة الجوالة بين التشكلات الدماغية

(*) من قصيدة للموءلف كنائية وطنية اخلاقية اجتماعية نشرت في الرأي العام

وفي اعماق الضمير لما رضيا لنفسهما ان يتوجاها بتلك السفالة و يطمسا عَلَى نورها الباهر ، فالى العلم يا قوم الى العلم ان كل العمل هناك . !

ان غيوم الجهل وقوارص الاستبداد اورثانا فساداً في الاخلاق وضعةً في النفس وخوراً في الفؤاد ، ولن تحيا امة حتى تحرر نفسها من مثل هذه السفالات وتحطم قيودها بالجرأة الادبية

ليس بالحر فتى يخشى الدمارا   انما الحر الذي يحمي الذمارا (*)
نسج الدهر غباراً فوقنا   فمتى ننفض يا قوم الغبارا ؟

اي وابيك : لن ننفض هذا الغبار ما دمنا نسمي النفاق بالمداراة ، والرياء بالدهاء ، والتملق بالتواضع ، والفتنة بالفطنة ، والغش بالحنكة ، والذل بالطاعة ، والجبن بالرواء ، والجرأة بالتهور ، وعزة النفس بالكبرياء ، والخلاعة بالدماثة ، والظلم بالمقدرة ، والكبر بالمكانة ، والعيّ بالوقار ، وهكذا : نقلب الحقائق رأساً عَلَى عقب فنكسو الرذيلة ثوب الفضيلة ، والفضيلة ثوب الرذيلة ، ثم نورثها اطفالنا في منابت الاسنان ونحن عَلَى وجهنا في هذا الوادي هائمون . الا ما احوجنا الى ناشئة تمزق هذه الاستار بيد من حديد : وما هي الا الجرأة الادبية . الا ان اكبر الخلق من يصدع بالحق ثم لا يخاف فيه لومة لائم

ان الفوضى في الاخلاق هي التي مزقت اديم هذه الامة البائسة على مخالب الشقاق ، فثارت اليها الاحقاد الكامنة

«وتراخى الامر حتى اصبحت   هملاً يطمع فيها من يراها»

(*) من قصيدة للمؤلف تلاها عقيب خطبة القاها في الاستانة ثم نشرتهما جريدة الحضارة

حتى ثارت منها نفوس رديئة وايد ملوثة ممن كان حاجباً عَلَى ابوابها او خادماً في اعتابها ، وكذلك عنوان بوار الامم اختلاف كلمتها ، ولنا في الحرب البلقانية ودويلاتها خير درس عبرةٍ واكبر مثال . : انا لا انكر التحزب السياسي فانه غير بدع — بل هو سائد في كل الدول والدويلات حتى كأنه روح العصر السياسية مما تمخضت به العصور الاول . وكذلك بارقة الحقيقة نتيجة احتكاك الآراء ، ومن هنا كان اختلاف الامة «رحمة» — ولكني لا اعتقد ان ذلك يجر الى انقسام الامة على نفسها ، بل هناك الخطب الاكبر مما يسمى عكس العمل ونقيض الامل ، وهل من بقية ريب في درس قرأناه ثم ما زالت آلامه في الافئدة ومرارته في الافواه ؟ فالى اتحاد الكلمة يا قوم الى اتحاد الكلمة ، والى النهج المستقيم الى النهج المستقيم ان كل العمل هناك !

ثم البلة الكبرى في الطينة ما نحن عليه من الكسل والعطالة مما توجنا بفقر مدقع ومثلنا همجاً رعاعاً : فنحن قاعدون تحت رحمة العدو ! حتى في ابرة نخيط بها ثيابنا بينما هو يستخدم البخار والكهرباء . فيتغلغل في تخوم الارض ويطير في جوّ السماء ، ثم ها نحن هولاء عَلَى كل هذه العلات نريد ان نبارز العدو بسلاحه ونحارب به بقوته وهكذا نحمى منه اوطاننا العزيزة وشرفنا الملي ثم نحيا حياة عزٍ وهناء !! اما وابيكم ان هذا لرابع المستحيلات ، فالى الفكر والعمل يا قوم ان تمام العمل ثم كل العمل هناك . ! اجل : وعزة الاسلام وشرف الهلال في دور اقبالهما ، لن نهتدي الى كوكب مجدنا الغابر من خلال هذه السحائب القاتمة حتى نكون اهل فكر وعمل ؛ فالى وسائل الحياة قبل الموت يا ابناء الهلال . . !

كل القوم

يا قوم — واريد كل القوم — اعلم انما جئتكم ببضاعة مزجاة ولكن رأس مالها حسن النية ، ثم لست اجهل ان افق الصحافة من اكثركم مكوكب بمثل هاتيك الحقائق الوضائة تتراوح فيه اشراقاً وافولاً ، فليس موقفي هذا فيكم موقف مرشد لكم ولكنه مقام غريم مطالب او مذكر مسترب اذ كثر منكم القول وما ارى لكم من عمل ، فها انا اذكركم بآية من كتاب الله على لسان رسول الله : يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ، ثم اذكركم بقول الشاعر: لا يصدق القول حتى بصدق العمل . ثم انهي الحديث بما بدأ به فاقول: «لقد كثر القول فاين العمل» واستغفر الله لي ولكم واسئله العناية والتوفيق ثم احمده جل ثنائه واصلي واسلم على نبيه الاعظم بدأً ومختتماً

وهنا نزل الخطيب وقد بلّ الدمع ثيابه وضيق الزفير انفاسه

« فلولا زفيري اغرقتنيَ ادمعي ولو دموعي احرقتنيَ زفرتي »

فهبّ القوم ليصافحوه فيضربوا ايديهم بيديه و يقبلوا ما بين عينيه ، فابى ان يمد لهم يد مصافح غير مصافي الا ان يؤتوه موثقاً من الله وعهداً مسئولاً ، فانفض الجمع عن عروة وثقى لتحرير الشرق برفع دعائمه المتداعية وايقاظ ابنائه الراقدة وكان في مقدمة هاتيك الدعائم رقي ابناء يعرب ورجوع الملة الاحمدية الى جوهرها وعقد الخناصر على تعزيز الهلال . . . فقلت عندئذٍ : منذ اليوم ازدادُ فخراً وسروراً باني عربي ، باني محمدي ، باني عثماني

والحمد لله في البدء والختام

اخطار واعتذار

وقع بعض اغلاط مطبعية في بعض النسخ — بالرغم عن فرط الاعتنا والتنقيب — : مثل « المسمون » بدل « المسلمون » ص ٣٣ س ٤ و« العزم » بدل « العـز » ص ٤١ س ١٣ و« اهنتهم » بدل « اهبتهم » ص ٦٤ س ٣ وكذلك زيادة من في قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله ، ولكن حيث كانت مما يعرف بقرينة السباق والسياق فقد اكتفينا بالالماع اليها على سبيل الاعتذار . ثم وجب التنبيه على غلط كبير في ص : ١٥ عند قوله تعالى من سورة آل عمران : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، اذ تشابهت فاشتبهت لدى التمثيل بآية اخرى من السورة نفسها فجاء بدل « يدعون الى الخير » ، « يسارعون في الخيرات » وسقط ما سقط وكذلك في الصحيفة نفسها س ١١ من سورة الحج بعد ظلموا « وان الله على نصرهم لقدير اللذين اخرجوا » فوجب الاخطار والاعتذار معاً — ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً —

يطلب من مطبعة مرتضم ومن الحاج علي چلبي زين العابدين في خان المفتي (في الموصل)

القيمة الموسومة خالصة من كل تبعة نلحقها وقد التزمنا المـوادة في السعر — كما يرى المنصف — خدمةً اخرى للمبدأ

١٢٩٢ هـ ش